التوحيد

إقامة الدولة التي ترعى الحقوق وتقوم بها !!

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية   تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية   العدد ٤٨٢ - السنة الحادية والأربعون - صفر ١٤٣٣ هـ   الثمن جنيهان

حوار التوحيد مع الشيخ أبي الحسن المأربي

خذوا الحكمة من أفواه المرشحين !



امتحان الله تعالى للإسلاميين في الانتخابات

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الحادية والأربعون

العدد ٤٨٢

صفر ١٤٣٣هـ



التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

السلام عليكم

خذوا الحكمة من أفواه المرشحين!!

عملاق ضخم من عمالقة المرشحين للرئاسة الأمريكية، أتى بما لم يعرفه سابقوه، ولن يعرفه لاحقوه، فهو صاحب الاكتشاف الخطير، والاختراع الذي ليس له نظير، فقد صَرَّح بأن الشعب الفلسطيني قد تم اختراعه لمضايقة الشعب الإسرائيلي والتضييق عليه!!

وأغلب الظن أن الرجل يعرف العكس؛ وهو أن إسرائيل في الأصل لم يكن لها وجود بين العرب؛ حيث إنها لا هي من لونهم، ولا من جنسهم، ولا لغتهم ولا أخلاقهم، وإنما اختُرعت ليظل التفكك، والاختلاف والتنازع؛ هو الصفة السائدة بين العرب عامة، والمسلمين خاصة، فلا تقوم لهم قائمة، ولا يجتمع لهم شمل، فيسهُل تمزيقهم وإضعافهم، ثم استنزافهم ومصّ دمائهم، بعد ابتزازهم.

لكنَّ فخامة المرشح العبقري العملاق، كان ملَكيًا أكثر من الملِك، وإسرائيليًا أكثر من الإسرائيليين، فاعتبر أن فلسطين هي التي تم اختراعها.

صحيح؛ للرئاسة ضرورة وأحكام!!

التحرير

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

في هذا العدد

افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر ٢
حوار التوحيد: أجراه رئيس التحرير ٦
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ١٣
باب السنة: زكريا حسيني محمد ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
دلائل عظمة القرآن: مصطفى البصراتي ٢٣
دراسات شرعية: متولي البراجيلي ٢٦
امتحان الله للإسلاميين في الانتخابات
محمد صالح المنجد ٣٠
شبهات حول الصحابة: أسامة سليمان ٣٤
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
«ادفع بالتي هي أحسن»: إعداد: أيمن دياب ٣٨
الدعوة إلى التوحيد من هدي النبيين
إعداد: عبده أحمد الأقرع ٤٢
باب الاقتصاد الإسلامي: د. علي السالوس ٤٤
باب الأسرة: إعداد: جمال عبد الرحمن ٤٧
القصة في كتاب الله: عبد الرزاق السيد عيد ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
وقفات شرعية مع تطبيق الشريعة الإسلامية
المستشار أحمد السيد علي ٥٧
حسن الظن بالله: صلاح نجيب الدق ٦٠
باب الفقه: د. حمدي طه ٦٢
طلب العلم والدورات العلمية المكثفة: محمد الصادق ٦٤
من الآداب الإسلامية: سعيد عامر ٦٦
بركات تطبيق الشريعة الإسلامية: شوقي عبد الصادق ٦٩



التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد



إقامة الدولة التي ترعى الحقوق وتقوم بها !!



بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فمن الأمور البدهية أن كل كيان قائم لا بد له من قوة تحميه ودولة ترعاه، ومن هنا دعا الإسلام إلى وجود الدولة التي تطبّق الدين وتنفذ أحكامه، وقد وعد الله تبارك وتعالى أهل الإيمان في القرآن بالاستخلاف في الأرض والتمكين إن عبدوا الله ووحدوه، واجتنبوا الشرك والفسوق.

قال الله تعالى: « وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) » [الأنبياء:١٠٥]، وقال تعالى: « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) » [النور:٥٥].

قال الشوكاني - رحمه الله - في شرحه للآية: «والمراد بالتمكين هنا: التثبيت والتقرير، أي: يجعله الله ثابتًا مقررًا، ويوسع لهم في البلاد، ويظهر دينهم على جميع الأديان، والمراد بالدين هنا: الإسلام، كما في قوله: «وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة:٣]»، وذكر سبحانه وتعالى الاستخلاف لهم أولاً، وهو جعلهم ملوكًا، وذكر التمكين ثانيًا.

فأفاد ذلك أن هذا الملك ليس على وجه العروض والطروء، بل على وجه الاستقرار والثبات، بحيث يكون الملك لهم ولعقبهم من بعدهم». [فتح القدير (ج٤/٤٧)].

والناظر في جملة كبيرة من أحكام الشريعة الإسلامية، يجد أنه لا يمكن تطبيقها إلا من خلال دولة قائمة تقوم بها، ولها مؤسساتها وأنظمتها، وذلك كالآيات الواردة في تنظيم المعاملات بين الناس من بيع وإيجار ووصية، ورهن ووكالة وكفالة، وغير ذلك، ومنها: الآيات التي شرعت أحكام الحدود، وهي أحكام وحدود يجب أن تنفذ من خلال دولة كالقصاص، وحد الزنا والسرقة، والقذف والحرابة، وغيرها، ومنها: الآيات التي نظمت أحوال الأسرة كالزواج والطلاق، والرضاعة والنفقة، والحضانة والرجعة والعدة، وغير ذلك من الأحكام المتعلقة بالأسرة.

ومنها: الآيات الآمرة بإعداد العدة لمواجهة أعداء الدين والمعتدين، كل هذا وغيره لا يمكن القيام به إلا من خلال الحكومات والدول، والشرائع النازلة على الأنبياء والمرسلين من لدن رب العالمين تحتاج إلى دولة ومنعة يمارس من خلالها التطبيق العملي للشرع المنزل، وهذا يمكن أن نفهمه من قوله تعالى: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ » [الحديد:٢٥].

قال ابن تيمية - رحمه الله - في الآية: «أخبر الله أنه أرسل

الرسل وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط، وذكر أنه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق، فالكتاب يهدي والسيف ينصر، وكفى بربك هاديًا ونصيرًا». [مجموع الفتاوى: ١٨/١٥٧].

ومن هنا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إقامة الدولة التي ترعى الحق وتقوم به، وقد تحقق له ذلك في المدينة النبوية، وكان صلى الله عليه وسلم يسعى لتحقيق هذا الهدف، ولهذا كان يعرض نفسه على القبائل في المواسم، ويدعوهم لنصرته وحمل رسالة ربه، ويؤكد ذلك أنه بايع الأنصار البيعة الثانية بمكة - شرفها الله تعالى - على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، كما في حديث جابر رضي الله عنه أن الأنصار لما قدموا عليه قالوا: نبايعك. قال: «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة». قال: فقمنا إليه فبايعناه، وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو من أصغرهم، فقال: رويدًا يا أهل يثرب، فإنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن إخراجه اليوم مفارقةُ العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جبنة فبينوا ذلك، فهو عذر لكم عند الله. قالوا: أَمط عنا يا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة أبدًا، ولا نسلبها أبدًا. قال: فقمنا إليه فبايعناه، فأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة». [مسند أحمد ٣/٣٢٢، ٣٢٣].

وهذه البيعة تعتبر هي النواة الأولى في بناء أول دولة إسلامية، واضحة المعالم والقيادة، وقد تضمنت المعاهدة بنودًا خمسة هي: السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام في الله لا تأخذهم فيه لومة لائم، ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا قدم المدينة، وقد علم المبايعون أبعاد هذه المبايعة وتبعاتها وتحملوها، ويؤكد ذلك ما قاله أبو الهيثم بن التيهان - حليف بني عبد الأشهل - للنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: يا رسول الله، بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها - يعني العهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم». [مسند أحمد ٣/٤٦٢].

والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم: «بل الدَّم الدم والهَدْم الهدم»: إن طُلب دمكم فقد طُلب دمي، وإن أُهدر دمكم فقد أُهدر دمي، لاستحكام الألفة بيننا، وهو قول معروف للعرب يقولون: دمي دمك وهَدمي هَدْمك، وذلك عند المعاهدة والمناصرة. [انظر النهاية في غريب الحديث ٥/٢٥١].

وبعد انتهاء هذه البيعة بدأ النبي صلى الله عليه وسلم يمارس ترتيب الأمور وتوزيع المسؤوليات، فقال للقوم: «أخرجوا

إن الأنصار لما قدموا عليه ﷺ قالوا: نبايعك قال: «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم.



إليَّ منكم اثني عشر نقيبًا يكونون على قومهم، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، وبعد هذه البيعة التي جاء الإذن بعدها بالهجرة، أصبح فرضًا على كل مسلم قادر أن يسهم في بناء هذا الوطن الجديد، وأن يبذل جهده في تحصيْنه ورفع شأنه، وأصبح ترك المدينة - بعد الهجرة إليها - نكوصًا عن تكاليف الحق، وعن نصرة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فالحياة بها دين؛ لأن قيام الدين يعتمد على إعزازها، وبهذا كانت الهجرة بداية تحول كبير في تاريخ الإسلام؛ حيث أقاموا الدولة وأصبح لهم وطن يأمنون فيه - بفضل الله - بعد أن كانوا كما وصفهم القرآن: «وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾» [الأنفال:٢٦]، ولم تكن المدينة وطنًا للمسلمين فحسب، بل صارت قاعدة انطلاق للدعوة الإسلامية، تحققت من خلالها عالمية الإسلام؛ حيث أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رسله وكتبه إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام، وبدأت التشريعات الربانية تترى، واستطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يطبقها في دولة المدينة وهو رئيسها.

يقول د/ منير البياني: «أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم جهاز الدولة الإسلامية بنفسه وأتمه في حياته، فقد كان للدولة رئيس، وكان له معاونون وولاة وقضاة وجيش، ومدير دوائر ومجلس يرجع إليه للشورى». [الدولة الإسلامية: ٢١٤].

ويقول الدكتور الدميجي: «إن الرسول صلى الله عليه وسلم أقام أول حكومة إسلامية في المدينة، وصار صلى الله عليه وسلم أول إمام لتلك الدولة، فبعد أن هيَّأ الله لهذا الدين من ينصره ورسوله بدأ صلى الله عليه وسلم في تشييد أركانها، فأصلح ما بين الأوس والخزرج من مشاكل وحروب طاحنة قديمة، ثم آخى بين الأنصار والمهاجرين، ونظَّم الجيوش المجاهدة لنشر هذا الدين والذود عن حماه، وقد أرسل الرسل والدعوات إلى ملوك الدول المجاورة يدعوهم إلى الإسلام، وعقد الاتفاقات والمعاهدات مع اليهود وغيرهم، وأبان أحكام الأسرى وما يتعلق بهم، وأحكام الحرب وأهل الذمة، وقام بتدبير بيت مال المسلمين وتوزيعه كما أمر الله عز وجل، وعيَّن الأمراء والقضاة لتدبير شئون المسلمين، وأقام الحدود الشرعية والعقوبات، إلى غير ذلك من وظائف الدولة ووظائف الإمامة».

يقول الإمام الشاطبي - رحمه الله -: «ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه أمر الدين والدنيا، وهذا لا مخالف له من أهل السنة». [الإمامة العظمى: ٥٢].

وبهذا يظهر أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام دولة، وكوَّن من المسلمين وحدة، وألف منهم دولة واحدة كان هو إمامها وقائدها صلى الله عليه وسلم، وأن الإسلام بقواعده ومبادئه يحتاج إلى دولة تطبق أحكامه، وقد أدرك هذا المعنى الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - فبادروا إلى حسم موضوع الخلافة قبل أن يُدفن النبي صلى الله عليه وسلم، وما ذاك إلا لمعرفتهم

إن الرسول صلى الله عليه وسلم أقام أول حكومة إسلامية في المدينة، وصار صلى الله عليه وسلم أول إمام لتلك الدولة، فبعد أن هيَّأ الله لهذا الدين من ينصره ورسوله بدأ صلى الله عليه وسلم في تشييد أركانها



بضرورة إقامة الدولة والمحافظة على كيانها من أجل إقامة الدين والمحافظة عليه، ولو كانت إقامة الدولة لا حاجة لها لما سارعوا إلى ذلك.

ومما يؤسف له أن نفرًا من المسلمين تابعوا أعداء الملة والدين، وذهبوا إلى أن الإسلام لا يدعو إلى قيام دولة؛ ليصلوا من وراء ذلك إلى فصل الدين عن الدولة!! وقد صرح بهذا الشيخ/ علي عبد الرازق فقال: «إن محمدًا صلى الله عليه وسلم ما كان إلا رسولاً لدعوة دينية خالصة للدين، لا تشوبها نزعة ملك، ولا دعوة لدولة، وأنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ملك ولا حكومة، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يفهم سياسته من هذه ومرادفاتها، ما كان إلا رسولاً كإخوانه الخالين من الرسل، وما كان ملكًا ولا مؤسس دولة، ولا داعيًا إلى ملك». [الإسلام وأصول الحكم: ١٣٦].

وأقول: حقًا إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ملكًا ولا داعيًا إلى مُلك، ولكنه أسس دولة عظيمة انطلقت من خلالها دعوة الإسلام، وطبقت شرع الله ودينه، وما ذكره علي عبد الرازق كلام باطل لا يمت إلى حقيقة الإسلام بصلة، ولعل ما ذكرته آنفًا يرد عليه، بل إن بعض المستشرقين يخالفه فيما ذهب إليه، ومن هؤلاء المستشرقين «جب» الذي يقول: «..عندها صار واضحًا أن الإسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية، وإنما استوجب إقامة مجتمع مستقل له أسلوبه المعين في الحكم وله قوانينه وأنظمته الخاصة به».

إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ملكًا ولا داعيًا إلى مُلك، ولكنه أسس دولة عظيمة انطلقت من خلالها دعوة الإسلام، وطبقت شرع الله ودينه

وقد حُوكم علي عبد الرازق بسبب هذا الكتاب أمام هيئة كبار العلماء، وقد أصدروا في حقه ما يلي: «حكمنا نحن شيخ الجامع الأزهر - وكان إذ ذاك الشيخ / محمد أبو الفضل - بإجماع أربعة وعشرين عالمًا معنا من هيئة كبار العلماء بإخراج/ علي عبد الرازق أحد علماء الجامع الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية، ومؤلف كتاب «الإسلام وأصول الحكم» من زمرة العلماء».

صدر هذا الحكم بدار الإدارة العامة للمعاهد الدينية في يوم الأربعاء ٢٢ المحرم ١٣٤٤هـ.

وبلدنا اليوم يمر بمرحلة حرجة بعد تنحي الرئيس السابق عن الحكم، وإسناد أمر البلاد إلى المجلس العسكري، وأثناء كتابة هذه السطور تجرى في المحافظات الانتخابات البرلمانية، وستجرى بعدها - إن شاء الله - انتخابات أخرى تنتهي ببناء الهيكل السياسي للدولة - بإذن الله -.

ونحن نحرص على إقامة الدولة الناجحة النافعة التي تقوم بالحق وتنشر العدل، وتطبق الشرع، وتلبي حاجات المجتمع المختلفة في كل القطاعات العلمية والتربوية، والسياسية، والاقتصادية، والإعلامية، وغير ذلك، وعندئذ سيسلم الله تعالى البلاد والعباد مما هي فيه من ضنك وشدة، ويعم الأمن والسلم والأمان ربوع البلاد.

نسأل الله التوفيق والسداد.



حوار التوحيد

مع الشيخ: أبي الحسن المأربي

رئيس دار الحديث في مأرب باليمن

أجرى الحوار/ جمال سعد حاتم

متابعة /سامح أحمد أبو الروس

في خضم الأحداث والمستجدات الحالية يقف الانسان حائراً ..يجد منْ حوله هرَجاً ومرَجاً .. أمور تتغير وأخرى تتبدل ، وتجد الناس مختلفين، فمنهم من هرول يميناً وبأقصى سرعة، ومنهم من هرول يساراً ، ومنهم من اعتصم بالسكوت في الفتن ، ويشتد الجدل فيمن أصاب ومن أخطأ، ومن تقاعس، وسرعان ما يتساءل الجميع ، وكل منهم يوجه الآخر بما يحب ان يراه عليه، وكثير من المستجدات علي الساحة تسبب الألم الشديد الذي يُدْمي القلب، وينحر الفؤاد، فقد وقعت أحداث مؤلمة، وفوضى عارمة .. وهناك أياد خبيثة تشعل النار وتؤججها، وتوقع الفتن وتنشرها والقوم هائمون لا يدرون كيف يتصرفون عندما تشتد المحن وتزداد الخطوب وتنتشر الفوضي ، ويفقد الناس الإحساس بالامان، ونعود مرة أخرى للتساؤل أين نحن من شرع الله ، والي أين نسير ، وكيف نسير ، وأين نحن من التمسك بثوابت أهل السنة والجماعة والتقيد بما ورثناه عن سلفنا في فهم النوازل ، فنحن في نوازل مدلهمة.

وليعلم المرءُ أن الإعراض عن أمر الله؛ سبب في زوال نعمة الأمن، وحلول الخوف والفزع، قال الله تعالى: « وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ » [طه: ١٢٤]، ويجب أن يشعر كل منا أنه مسئول بين يدي الله عزَّ وجلَّ، عن أي إخلال بالأمن من جهته أو إثارة للفتنة بقول أو عمل، ولابد أن ينكر على كل من أخل بأمن المسلمين – بشرط أن يكون إنكاره عليه مقيدًا بالضوابط الشرعية ، والناس في هذه الدنيا كقوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فأراد الذين هم في أسفلها أن يخرقوا خرقا في سهمهم ليستريحوا ويريحوا!! فلو تركهم من هم في أعلاها غرقوا جميعًا، ولو أخذوا على أيديهم نجوا جميعًا، وهكذا حال الفريقين فيما نعيشه من أحداث على الساحة في مصر هذه الأيام.

واليوم وعلي صفحات مجلتكم الحبيبة نستضيف واحداً ممن جمع بين العلم الشرعي والتأصيل الواقعي فيما يمر بنا وما تمر به الأمة في حوار لمجلة التوحيد مع رجل درس وتعلم ، ثم علَّم ونشر العلم في صمت دون أن يحرص علي الشهرة.

وإلى تفاصيل الحوار الذي ننشره على حلقتين بإذن الله تعالى.

إضاءات مهمة في فقه الاختلاف الصحيح بين الإسلاميين

فضيلة الشيخ: تمر الأمة بما يسمى «ثورات الربيع العربي»، هل لكم أن تدلوا بدلوكم في المسائل الشرعية والثوابت التي يجب علينا أن نحافظ عليها؟

أنصح في مثل هذه الأوقات بالتمسك بثوابت أهل السنة والجماعة، والتقيد بما ورثناه عن سلفنا في فهم النوازل، فإن هذا ينفعنا كثيرًا في النوازل المدلهمة، وأنصح أيضًا بأن لا ننشغل بما مضى كما يجري من كثير من الشباب فيما بينهم؛ ما حكم الذي حدث، أهو خروج على ولي الأمر أم لا، ثم لا يجنون من وراء هذا الخلاف إلا الوقوع فيما لا يحمد عقباه، والتنافر الذي يقع بينهم، فلا هم الذين غيَّروا الفساد الموجود، ولا هم الذين أبقوا على مودة قلوبهم وتآلفهم ومحبتهم، فلا رأس المال أبقوا، ولا الربح حصلوا بالخلاف حول هذه القضايا، والبحث عن حكم ما

- لا بد من تبعُّض الولاء والبراء، ومعرفة ما عند الرجل من جوانب حميدة فيعانُ عليها وما عنده من جوانب أخرى فيناصح فيها !!

- فرق كبير بين زمن الاستخلاف وزمن الاستضعاف، فالإنسان إذا كان ضعيفاً لا تلزمه أحكام ما إذا كان قوياً ممكناً !!

مضى، ولكن أنصح بالبحث في توصيف الواقع الموجود الآن، وكيفية التعامل معه وفق الأدلة الشرعية والقواعد المرضية عن السلف الصالح رضي الله عنهم، فينظرون في هذا الواقع الموجود، وكيف يتعاملون معه؛ وهل يكون التعامل معه بالاقتراب منه أم الابتعاد عنه.

ولا شك أن إخواننا لهم في ذلك وجهات نظر مختلفة؛ هناك من يرى الترك بالكلية، وهناك من يرى الدخول بالكلية، وهناك من يرى الدخول بصورة معينة ولو على سبيل المرحلية، وأيًا كان فأحب أن أوضح أن هذا الخلاف يجب ألا يُفسد ما بين الإخوة؛ لأن الجميع يريد رضا الله عز وجل، وكل يبحث عن تقليل الشر، وتكثير الخير؛ باعتبار أن الشريعة جاءت بتكميل المصالح وتحصيلها، وبتعطيل المفاسد وتقليلها.

فهناك من يرى أن المصلحة في الدخول للمجالس النيابية وهناك من يرى أن المصلحة في الخروج، وهناك من يرى أن المفسدة الأكثر في الإحجام، وهناك من يرى أن المفسدة الأكثر في الإقدام، وهذه وجهات نظر تحتملها الأخوة، ويحتملها العمل الإسلامي، فلا يجوز أن يفترق الإخوة فيما بينهم بسبب الاختلاف في: هل ندخل أو لا ندخل؛ لأن هذه مسألة اجتهادية، يسعني أن أرى فيها قولاً، وترى فيها قولاً، والأخوة بيننا؛ فلو نظرنا إلى حال السلف لرأيناهم اختلفوا في مثل هذا، بل وأكبر منه، فربما كانت مسائل تتصل بالعقيدة؛ اختلف الصحابة هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه أم لا، فلعائشة رضي الله

بطاقة تعريف

أخوكم أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني.

من مواليد محافظة الدقهلية، مركز أجا، كفر عوض، السنيط القرية.

وُلدت سنة ١٩٥٨م، ثم درست في الدراسة النظامية، وتوجهت إلى اليمن في سنة ١٩٨٠م، ومكثت فيها إلى ما قبل شهر ونصف تقريبًا أي نحو ٣١ سنة.

يسر الله عز وجل لي طلب العلم أكثر ما يكون في اليمن، والتقيت بالشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله.

وكذلك سافرت إلى الرياض، ومكثت مدة عند سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله عليه، وكان يتخلل ذلك لقاءات مع فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وفضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين، رحمهما الله.

وسافرت إلى الأردن عام ١٤١٦هـ للقاء شيخنا محدث العصر الشيخ الألباني رحمة الله عليه، ومكثت في عمان ستة عشر يومًا، وكانت كلها جلسات مع فضيلة العلامة المحدث الشيخ الألباني رحمه الله، وكان ذلك من خلال اثني عشر مجلسًا أو أحد عشر مجلسًا كلها كانت في علم الحديث وبعض مسائل علم الأصول، وكذلك فيما يتصل بفقه الدعوة، والسياسة الشرعية، وما هو موجود بين الدعاة والجماعات الإسلامية في حقل الدعوة إلى الله عز وجل.

ثم يسر الله سبحانه وتعالى بالاستمرار في طلب العلم، ويسر الله بكتابة بعض المؤلفات، سواء في علم الحديث، وهو أكثر المؤلفات، وبعضها في الفقه، وبعضها في الأصول، وكثير منها أيضًا في فقه الدعوة، والسياسة الشرعية، منها المطبوع، ومنها ما هو في طريقه إلى ذلك.

أعمل في حقل الدعوة قيمًا لدار الحديث في مأرب، وفيها أربعمائة من طلبة العلم، يدرسون دراسة منهجية بمعهد إعداد الدعاة، ويتم تأهيلهم أيضًا في هذه الدار، وقد نفع الله سبحانه وتعالى بها، فتخرج في هذه الدار عددٌ كبير من الدعاة، وانتشروا في ربوع اليمن، وبعضهم خارج اليمن في دول عربية وغربية، وفي دول جنوب شرق آسيا.

عنها قول، ولابن عباس رضي الله عنهما قول، ومع ذلك لم يتهاجرا، ولم يتكلم أحدهما في الآخر، ولم يطعن فيه، اختلف السلف في رؤية الكفار ربهم في عرصات يوم القيامة، هل يرونه أم لا؟ على ثلاثة أقوال، ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالته لأهل البحرين، ومع ذلك لم يتهاجروا.

تناظروا في قضية العشرة المبشرين بالجنة حتى ارتفعت الأصوات، ومع ذلك لم يفترقوا، فلو أن كل خلاف يفرقنا فلن تبقى لنا باقية، يجب أن ننظر في مثل هذه النوازل برتبة هذه المسألة، ومقدارها الشرعي، هل الخلاف فيها متعلق بالأصول أم هي من الأمور التي يسع فيها الخلاف؛ هذا أيضًا مما يعين بإذن الله عز وجل على الخروج من هذه النوازل بأقل التضحيات وبأقل الثمن، بل ربما يزيدنا بصيرة والتصاقًا بمنهج سلفنا الذين اختلفوا في كثير من المسائل ولم يفترقوا؟

المسائل الاجتهادية لا تفرق إلا عند أهل البدع!!

س: ما كيفية وضع قواعد ثابتة للخروج من هذا الخلاف بين المؤيد والمعارض، وما القواعد الشرعية التي تضمن عدم الإخلال بالثوابت عند الدخول إلى هذا المعترك؟

الجواب: على كل حال لسنا الذين نضع القواعد اليوم، فالقواعد قُرِّرت وأُصِّلت من زمن بعيد، ولسنا أول من سيتعامل مع نصوص الكتاب والسنة، فلقد تعامل معها علماء أكثر منا تقى وعلمًا وفهمًا وعمقًا في الفهم، وأبر منا قلوبًا، تعاملوا مع هذه النصوص واستخلصوا منها قواعد.

من هذه القواعد: أنه لا ولاء ولا براء على مسائل الاجتهاد، وما كان من باب الاجتهاد فلا حرج فيه على العباد، وأن المسائل الاجتهادية لا تفرق إلا عند أَهْل البدع الذين كانوا يحدثون المقالات ويوالون ويعادون عليها، فكان الأب يكفر الابن والعكس، هذا بخلاف أهل السنة الذين منهجهم قائم على السنة والجماعة، فهذا الشعار لم يأت من فراغ، أي أهل اتباع واجتماع، فنحن نريد أن نتمسك بالسنة في ضوء جماعة وقوة واعتصام، ونريد أن نكون جماعة وقوة على الكتاب والسنة ليس على ضلالات ولا على خزعبلات، إنما نكون على سنة وجماعة، واتباع واجتماع، وبعضهم يعبر فيقول: تمسك وتماسك؛ تمسك بالآثار وتماسك وتراصّ في الصفوف، أو كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، كل هذه معاني لهذه الكلمة، هذا هو الشعار العظيم «أهل السنة والجماعة» الذي لم يأتِ من فراغ، فكلمة السنة احتراز من أهل البدعة، وكلمة الجماعة احتراز من أهل الفرقة والتشرذم والتفرق.

نحن نسير بين واجبين

ويضيف الشيخ: وقد قال بعض العلماء: الاجتماع على القول المرجوح خير من الاختلاف على القول الراجح، ولنا في موقف ابن مسعود مع عثمان بن عفان رضي الله عنهما في صلاته وراءه في منى قدوة في هذا، فقد صلى ابن مسعود وراء عثمان صلاةً يرى أنها خلاف الصلاة التي صلاها النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك قيل له: إذا كنت تراه قد خالف السنة، فلماذا تصلي وراءه؟ قال: الاختلاف شر، أو الخلاف شر، فعندما يخرج ابن مسعود فلا يصلي وراء عثمانٍ في موقف الحج، والناس مجتمعون سيثير فُرقة، ويُحدث بلبلة، فكان الاجتماع مع وجود هذا الخلاف مصلحته أرجح من أن يتمسك بهذه الجزئية من الأحكام الشرعية ويؤدي ذلك إلى تفرق.

فنحن نسير بين واجبين ولا بد من تحقيقهما: واجب الاتباع، وواجب الاجتماع، فإذا أمكن أن نقوم بهما جميعًا فلا يجوز أن نفرط في أحدهما، وإذا تعارضا فتارة نقدم واجب الاتباع، وتارة نقدم واجب الاجتماع؛ قدم النبي صلى الله عليه وسلم واجب الاجتماع عندما قال لعائشة: «لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لغيرت بناء الكعبة» [أخرجه البخاري]، فراعى جانب الجماعة والاجتماع عن جانب إحياء سنة قد أماتها مَنْ قبله وهم كفار قريش، وكما قال في ابن سلول: «دعه؛ كي لا يقول الناس: إن محمدًا يقتل أصحابه» [أخرجه البخاري] ، فراعى تأليف الناس، ودخولهم في الإسلام أولى من إقامة حد من حدود الله عليه، وهو الذي كان يقول: «لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ» [المنافقون:8]،

فإذا تعارض الواجبان واجب الاتباع وواجب الاجتماع فتارة يكون هذا وتارة يكون ذاك.

لا تجعل أول قائمة الخصوم إخوانك!!

ويزيد الشيخ في تأصيله لقاعدة الاتباع والاجتماع قائلًا: إن ابن مسعود قام بالأمرين، صلى مع عثمان فأحيا سنة الاجتماع، وبيّن الحكم الشرعي، وقال: إن هذا خلاف ما صلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقام بواجب الاتباع والبيان، لكن أحيانًا للأسف بعض طلبة العلم يفهم أنه لن يقوم بواجب الاتباع والبيان وواجب السنة إلا إذا فرّق الكلمة؟! ألا يمكن أن تبين السنة في ضوء الاجتماع؟! ألا يمكن أن نبين السنة في حدود الاختلاف؟! وهذا هو الذي عجزت كثير من نفوس إخواننا أن يتقبلوه، يمكن أن نختلف، ولكن تجمعنا دعوة واحدة وعمل واحد، ولذلك جاء من أصول أهل السنة والجماعة: الصلاة وراء البر والفاجر، والجهاد وراء البر والفاجر، والسمع والطاعة لولي الأمر الفاجر في المعروف، كل هذا حفاظًا على الجماعة، فإذا كنت سأسعى إلى الحفاظ على الجماعة مع إمام في صلاة حتى لا يؤول أمري إلى تعرية المساجد عن الجماعة، وأن ينفض الناس عن إحياء شعيرة الصلاة في المساجد، فكيف بإحياء سنة الائتلاف بين الدعاة والعاملين في حقل الدعوة، لا سيما الذين هم أبناء الدعوة السلفية، الذين هم أبناء السنة، الذين هم أبناء منهج الصحابة ومنهج التابعين ومنهج القرون المفضلة، ومنهج الأئمة الأربعة، منهج الحمَّادين والسفيانين، ومنهج البخاري وأبي داود وابن تيمية، ومن تبعهم بإحسان إلى زمننا هذا.

النظر إلى الأمور بحسب رتبها الشرعية

يقول الشيخ: وإنك لو نظرت في كثير من الذين يعملون في الساحة الدعوية اليوم وجدتهم يتفقون على هذه الأصول، فلماذا يكون هذا الخلاف محتدمًا بينهم حتى تظن أنك تتكلم مع أفراد كل منهم ينتمي إلى دين آخر وليس إلى دعوة واحدة، فترى الخلاف محتدمًا، والعداوة امتلأت بها القلوب بما قد لا تمتلئ على اليهود والنصارى ولا الرافضة، فعندما يضع الإنسان قائمة بخصومه فلا يجعل أول هذه القائمة إخوانه، إن كان ولا بد فليجعلهم في آخر القائمة وليس رأسها، وأنت عندما تجعل أخاك هو الهدف فأنت لا ترى بعد ذلك الأهداف التي بعده، والتي يجب أن توجه إليها سهامك بالدعوة والبيان والتوضيح؛ لأنك انشغلت بشيء معين، وكلما اتسع علم الرجل وحلّق في سماء العلم رأى الأمور على وضعها الطبيعي، فأنا لو وضعت أصبعي أمام عيني فأنا أراه أكبر من هذا المبنى العظيم؛ لأني ما أرى غيره، فإذا أشبع الإنسان بفهم مسألة واحدة ورأى أنها كل شيء، فلا شك أن ذلك سيكون على حساب مسائل أخرى، فالواجب علينا أن ننظر إلى الأمور بحسب رتبها الشرعية لا بحسب رؤانا لها نحن، وأن ننظر إلى الأمور فنعطي كل شيء حقه وقدره في البحث العلمي ولا نجعل المباح مستحبًا ولا نجعل المستحب واجبًا، ولا نجعل الحرام حلالاً ولا مكروهًا، إنما نجعل كل شيء في موضعه الصحيح، كل هذا يساعدنا في الخروج من هذه الأزمة التي نعيشها.

كيف يكون التصالح والتصافح مع الولاء الكامل والبراء الكامل؟!

س: مع دعوتكم للتصالح والتصافح، كيف يكون الولاء الكامل والبراء الكامل في تصوركم؟

يقول الشيخ: إن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ذكر أن الولاء الكامل إنما يكون للأنبياء والرسل والصديقين والصالحين، وأن البراء إنما يكون من المنافقين والزنادقة وأعداء الإسلام الذين يكيدون له ويحاربونه ويعلنون عداءهم له ، أما الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا فهؤلاء لا بد أن يتبعض في حقهم الولاء والبراء؛ لأن الولاء هو فرع عما يقوم به الرجل من طاعات وبر، والبراء والذم هو فرع عما يقوم به الرجل من سيئات وفجور، إن كنا نقول بقول أهل السنة الذين يقولون: يجتمع في الرجل طاعة ومعصية، وبرٌ وفجور، وحسنة وسيئة؛ فلا بد أن نقول: ويجتمع فيه مدح وذم، ويجتمع فيه محبة وبغض، ونصرة وعقوبة، كل هذا يكون والرجل يُنظر إليه من عدة جهات كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية قال: كاللص الفقير تُقطع يَدُهُ لسرقته، ويعطى من بيت المال

لسدّ حاجته، فبينما نحن نقطع يده؛ لأنه يسرق، إذا بنا نعطف عليه ونرحمه ونعطيه من زكاة المسلمين لسد حاجته !!

أما أن يوالي الإنسان شخصًا ولاءً تامًا أو يعاديه عداءً تامًا، فهذا لا يكون في حق من يخلط هذا وذاك، وللأسف أنك قد تجد في هذه الأيام الرجل يختلف مع جاره، ثم بعد ذلك يهجره هجرًا تامًا، فيموت عند جاره الميت ويمرض الجار، ويعافى من المرض، ويسافر ويعود من السفر، وتحدث له مناسبات وأزمات، وهذا يتقرب إلى الله ببغضه، فإن سألته: هذا الذي تقاطعه مسلم؟ يقول: نعم. وعنده من أعمال البر؟ نعم، فأين ولاؤك له في حدود ما عنده من الخير؟!!

موقف أهل الحق من المناصحة والمناصرة

يقول الشيخ: إذن هذه قواعد نَظْرَتُها عند من يعرفها، أما كثير من الناس فربما لا يعرفونها، ومع ذلك عند التطبيق العملي تتحشرج في صدورنا وحلوقنا، ولا نستطيع القيام بها، فلا بد من تبعض الولاء والبراء، ولا بد من معرفة ما عند الرجل من جوانب حميدة، فيُعان عليها، وما عنده من جوانب أخرى فيناصح فيها، وموقف أهل الحق الذين هم أعلم الناس بالحق، وأرحم الناس بالخلق: قائم بين المناصحة والمناصرة، نناصحه إن أخطأ، ونناصره إن أصاب، وقد أختلف مع من أوافقه، وقد أتوافق مع من أختلف معه، رجل بيني وبينه خصومة مثلاً معتزلي، ورأيناه في بلده قام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قام يدعو إلى عدم دخول الخمر في بلاده، أو غير ذلك من المنكرات، فهل أقول: لا أتعامل معه؟!! لا، بل عَلَيَّ أن أتعامل معه في منع الخمر، أما في بدعته فلا أتعاون معه فيها، وهذا ظاهر في هدي السلف، والمشكلة أن كثيرًا من إخواننا يفهم أن منهج السلف هو مجرد كلمة أخذها عن العالم الفلاني، ثم لا يفهم من ذلك إلا هجر أهل البدع وهجر المخالف، وما هذا إلا جزء من منهج السلف، وليس هو كل منهج السلف، فهذا مَوْقف لسفيان الثوري مع ثور بن يزيد الكلاعي وهو ثقة ثبت، في الحديث لكنه قدري - رُمي بالقدر - وهو اسمه ثور على اسم الحيوان المشهور، قيل لسفيان الثوري: هل نأخذ الحديث عن ثور، وهذا من ناحية العدالة والإتقان ثبت لكنه من ناحية البدعة عنده زلة خطيرة، وهي بدعة القدرية، فهل نأخذ عنه؟ لو سئل واحد من أهل زماننا لقال: لا، اتركه ولا كرامة، هذا لا يساوي كذا، كما هو كلام أهل الحديث، ولكن ماذا قال سفيان؟ قال: خذوا عن ثور، واتقوا قرنيه، أي خذوا عنه الحديث، واتقوا بدعته لا ينطحكم بها، وهذا يمثل منهجًا عند أهل السنة؛ أن تأخذ الحق من المخالف، والباطل ترده عليه.

قواعد أهل السنة في التعامل مع المخالف!!

وعن كيفية التعامل مع المخالف يقول الشيخ: وقد أصَّل أهل السنة كثيراً من القواعد في التعامل مع المخالف مع الاعتصام بالكتاب والسنة، والتعاون مع المخالف فيما فيه حق، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «شهدتُ مع عمومتي حلفًا في الجاهلية -مع المشركين والوثنيين الذين يقولون: اللات والعزى،- شهدت مع عمومتي حلفًا في الجاهلية، لو دُعيت إليه في الإسلام لأجبت، وما أحب أن لي به كذا وكذا، وأني أنكثه».

هذا مع المشركين فكيف مع أعداء الإسلام الآن في زماننا هذا، ترى بعض إخواننا له وِجْهَة نظر مثلاً في العمل السياسي، أنا أحد أَمرين إما أن أوافقه فأناصره، وإما ألا أوافقه، فابتداءً أنا أحتفظ برأيي ولا أذهب، وأتقرب إلى الله بالتحذير منه دون بقية المرشحين من العلمانيين والليبراليين وغيرهم ، وأرى أن هذا هو الذي يجب التحذير منه وهذا ما ينبغي، وإذا كنت أنا لا أرى هذا الشيء ولا أشارك فلا أشارك، أما أني أحذر من فلان أو غير ذلك، فهذا ليس هو المنهج الصحيح، ولا ينبغي لهذا أن يكون بين طلبة العلم.

وعلى كل حال يجب أن تكون خلافاتنا منضبطة بقواعد السلف، وعندما نتكلم عن منهج السلف لا نتكلم عن نتفة من كلام فلان أو فلان، إنما نتكلم عن الجادة الموطوءة، والطريق العام، والقواعد المتفق عليها بينهم، وإلا ستجد أيضًا من السلف من كانت له كلمات شديدة، فلو جعلنا هذا منهجًا للسلف فهذا غير صحيح.

فالشافعي لما سأل المزني عن رجل، فقال:

كذاب قال: اكسُ ألفاظك، قل، ليس بشيء، والبخاري رحمه الله مُدح بأنه كان لطيف العبارة في التجريح، وكلما استطعت أن تصل المقصود بالبيان بألطف عبارة حتى لا تعين الشيطان على أخيك كان أولى، فمنهج السلف منهج عظيم ولو فقهناه لعرفناه حق معرفته.

فرق كبير بين زمن الاستضعاف وزمن الاستخلاف!!

س: بعد هذه الأحداث في العالم العربي هل يجب إعادة النظر فيما يسمى بفقه الواقع، هل يجب تغيير المفاهيم حتى تتلاءم مع الأحداث والنوازل؟ فهناك فارق كبير يموج فيه الناس بشدة ما بين التزام بالتطبيق أو تخلٍ عن بعض الأمور حتى نساير الواقع الذي نحياه؟!

يقول الشيخ: نحن جميعًا نعرف أن الفتوى تتغير بتغير الأزمنة والأحوال والعوائد والنيات، كما ذكر ابن القيم في كتابه العظيم إعلام الموقعين، وأن هذا التغيير ليس بالتشهي ولا بالهوى، وإنما هو راجع أيضا إلى موارد الشريعة ونصوصها، فمرة نقول بالأمر، ومرة نقول بخلافه إذا كان هذا الحكم يناسب هذه الظروف، وهذا الحكم يناسب تلك الظروف، فعندما تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية في الصارم المسلول عمن يتكلم في العهد المكي والعهد المدني، فذكر رحمه الله أن ليس هناك عهد برمته يؤخذ لجيل من الأجيال، والعهد الآخر لا يؤخذ منه شيء، قال: «من كان قويًا ممكنًا فليأخذ بنصوص العهد المدني، ومن كان مستضعفًا فليأخذ بنصوص العهد المكي». بمعنى أن هناك فرقًا بين زمن الاستخلاف وزمن الاستضعاف، فالإنسان إذا كان ضعيفًا لا تلزمه أحكام ما إذا كان قويًا مُمَكَّنًا، وليس هذا من باب التنازل، ولكن هذا من باب فهم الحكم بحسب حيثيات الحكم، فأنت عندما تأمر الغَنى بالزكاة، ولا تأمر الفقير بالزكاة، هل أنت بدلت الحكم؟! بالطبع لا، ولكن لأن هذا وُجد فيه سبب الحكم، فذكرت له الحكم، ولأن هذا لم يجب في حقه الحكم، فلم تذكره له، فالله سبحانه وتعالى أمر بالجهاد، واستثنى المريض والأعرج والأعمى، وعندما لا تخاطب هؤلاء بالجهاد فليس لأنك جاملتهم، ولكن لأن الله عزَّ وجلَّ عذرَهم، فنحن في مثل هذه الحالة ننظر إلى الواقع الموجود.

دخول الإسلاميين في العمل السياسي له ما يبرره!!

كان في وقت من الأوقات وفي بعض البلدان دخول الإسلاميين في العمل السياسي لا يغيّر من المعادلة شيئًا، فإن النتائج كانت معروفة سلفًا، وفلذات أكباد الصناديق معروف ما في أحشائها قبل أن تفرز، وهكذا إذن عندما يدخل أهل الحق في مثل هذه الأحوال فسيكونون ألعوبة ولا مصلحة يأتون بها، لكن في نظري في هذه الأيام أن الواقع قد تَغَيَّر، وأن هناك أمورًا فيها بصيص أمل، فمن الممكن أن يكون هناك تعبير صادق عن رغبة الشعوب إلى حدٍ ما، ومع الآلة الإعلامية التي عملت في مصر خِلال العقود الماضية على أن تغرّب الأمة وتطمس هويتها بالكلية، وتدعو إلى الرذيلة، وتحارب الفضيلة، وتشوّه الحقائق، وتطمس المعالم، إلخ هذه الجهود، وعندما جاءت فرصة للشعوب للتعبير عن إرادتها ورغبتها ظهر أن هذه الآلة الإعلامية ما كانت إلا كالقشرة أو كالثوب الذي تلبسه الحية ثم تخلعه وترميه وتمشي في طريقها.

وهذا بفضل الله سبحانه وتعالى في مجتمع مصر ليس بجديد ولا بالغريب، انظر إلى العبيديين حكموا مصر ربما قريبًا من مائتي سنة، ومع ذلك لما خرجوا منها ما وُجد أحد من أهل مصر يقول بعقيدتهم، فكانوا كالقشرة على مجتمع صلب، قشرة على صَخْرَة سرعان ما ذهبت القشرة وبقيت الصخرة كما هي، فالناس يحبون الخير وقلوبهم تحب الخير، ففي مثل هذه الحالة أرى أن دخول من يسمون «بالإسلاميين»، ونحن جميعًا مسلمون والمجتمع مسلم، وكل ما في الأمر أن هذا برنامج إسلامي، وهذا غير ذلك، فقد أسمي «إسلامي» وآخر مستقل وهو مسلم أيضًا، ولا نكفر أحدًا من أهل الإسلام وليس معنى أني إسلامي أن الآخر كافر، بالطبع لا، فالشاهد من هذا أن من يسمون بـ «الإسلاميين» يدخلون في هذا المضمار وبإذن الله عز وجل إن لم يحققوا الشيء كله، فبعض الشر أهون من بعض، وتقليل الشر غاية شرعية.

ولكن أحب أن أقول: يجب ألا يُفهم من خلال هذه الأشياء أننا سوف نقيم دولة الإسلام إقامة تامة كما كان في عهد النبوة، ولكن نستطيع أن نغيّر الشر وأن نقلل منه، وأن نكثر من الخير،

ونستطيع أن نفوت بعض الفرص، وأن نؤسس مظلة سياسية تحمي الدعوة، وتدافع عنها، وإلا كانوا تحت المطرقة وكل شيء يوجه إليهم.

غيري جنى وأنا المعاتب فيكم

كأنني سبابة المتندمي

شرع الله جاء ليغير الشرَّ أو يُقلله

يقول الشيخ: إنه في هذه الأيام تجدُ أناسًا يأخذون الأموال، والتمويل من الخارج، والإسلاميون يُتّهمون بأنهم هم الذين يُموّلون من الخارج، لأنه لا يوجد لهم مظلة سياسية تحميهم، وليس لهم كيان سياسي يحميهم، ولو وُجد لهم كيان سياسي يتغلغل، ويتوغل في مفاصل الدولة يستطيع أن يدافع عنهم، وأن يبطل هذه الاتهامات الجائرة الظالمة التي ترميهم بما ليس فيهم، فلا شك أنه من خلال الدخول في مثل هذه المجالات يمكن تقليل الشر، وهذه غاية شرعية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «حيثما كان تقليل الشر فثم شرع الله»؛ لأن شرع الله جاء ليغيّر الشر أو يقلله، ومن الألفاظ الجامعة النبوية الكريمة قوله صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده» [مسلم ٤٩]. الحديث.

ولم يقل فليزله لو قال: فليزله، لحملنا عنتًا ما نستطيع أن نزيله، وكلمة «فليغيره» لو غيرته من مائة في المائة إلى تسعة وتسعين أو تسعين في المائة، يصدق أنك غيرته، ولو جعلت سرعة الانطلاق إلى الشر بدلاً من مائتي كيلو في الساعة إلى مائة كيلو في الساعة حتى لو لم تغيره بالكلية لكنك على الأقل تبطئ مسيرة عجلة الشر، أنت بهذا غيرت شيئًا، وفعلت شيئًا.

ثم نحن بين أمرين: إما أن نترك المجتمع بالكلية ونعتزل المجتمع بما يعني أن نعتزل العمل السياسي بالكلية، وبعد ذلك نجلس ننتظر ماذا يقرر هؤلاء في دمائنا وأموالنا، ماذا سيخرج من تحت قبة البرلمان من قرارات تتحكم في دمائنا وأموالنا، يأتي وزير أوقاف حاقد علينا، يسحب المساجد منا، يمنع أنشطتنا ، يأتي مثلاً وزير داخلية حاقد علينا يُدخل دعاتنا السجون، ونحن مثلاً في اليمن الآن عندنا معادلة فيها الحوثية، وهم امتداد لدعوة إيران، لو يمسكون مثل هذه الوظائف الحساسة في البلاد لأهلكوا الحرث والنسل، فلو تُرك المجال لهم لفعلوا بنا الأفاعيل، وهذه هي سنة التدافع، قال الله تعالى: «وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا» [الحج: ٤٠]، لا بد من تدافع، أنت عندما تذهب وتدخل في مثل هذه الأشياء، وترتكب منكرات، صحيح ومن قال بأنه سيدخل ولن يرتكب المنكرات، فهذا واهم، ومن قال سأدخل، ولا أتنازل عن شيء، فهذا أيضا واهم، لا بد من تنازل لكن هل يسوغ هذا التنازل شرعًا أو لا يسوغ؟!

ارتكاب المفسدة الصغرى لدفع المفسدة العظمى

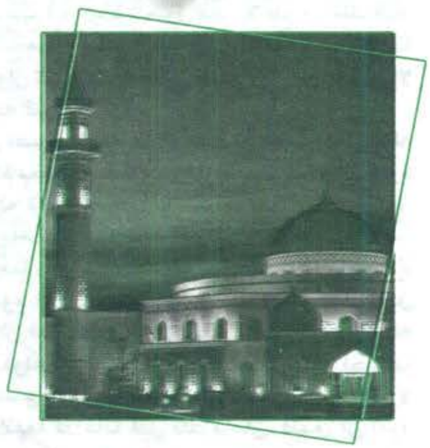
ويواصل الشيخ حديثه قائلاً : إن هذا هو البحث، أما أن أتصور أن الكلام الذي أتكلم به في المساجد هو الكلام الذي أتكلم به الآن!! لا بد أنه سيكون هناك تغير، لكن هل هذا التغير هو من ترك الدين؟! هل هذا التغير يكون بالهوى هل يجوز أو لا يجوز؟! هذا هو البحث، وعندنا قاعدة أن: «ارتكاب المفسدة الصغرى لدفع المفسدة العظمى، أو تفويت أدنى المصلحتين لتحصيل أعظمهما»، فهذه قاعدة شرعية تنتظم كثيرًا من جزئيات الشريعة ومن القواعد الكبرى في الدين، ونحن في هذه الحال لا نطبق هذه القاعدة، وكما يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «ليس العالِم الذي يعلم الخير من الشر، ولكن العالم الذي يعلم خير الخيرين فيثبته، وشر الشرين فيجتنبه»، نحن بحاجة إلى فقه شر الشرين، فلقد أصبحت الأمور ممتزجة متداخلة، إن عملت خيرًا فلا بد أن يكون معه بعض الشر، وإن تركت شرًا لا بد أن تترك معه بعض الخير، فهنا هل تترك أو تعمل؟! هنا لا بد من النظر إلى الموازنة الشرعية، لا الموازنة التي يتكلم عنها بعض طلبة العلم، أنك إذا ذكرت المبتدع لا بد أن تذكر كل حسناته، وهذا لا يصح، فالموازنة تكون بين الخير والشر وبين المصالح والمفاسد هذا مما جاء به الدين الكريم.. وللحوار بقية في العدد القادم.

والله من وراء القصد.



تفسير سورة «ص»
الحلقة الثالثة

وصية الله للولاة



إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي
نائب الرئيس العام

قال تعالى: «يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾» [ص: ٢٦].

قال ابن كثير- رحمه الله-: هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور، أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله، وقد توعد الله تعالى من ضل عن سبيله، وتناسى يوم الحساب، بالوعيد الأكيد، والعذاب الشديد.

عن أبي زرعة - رحمه الله- وكان قد قرأ الكتاب- أن الوليد بن عبد الملك قال له: أيُحاسَب الخليفة، فإنك قد قرأت الكتاب الأول، وقرأت القرآن وفقهت؟ فقلت: يا أمير المؤمنين أقول؟ قال: قل في أمان. قلت يا أمير المؤمنين، أنت أكرم على الله أو داود؟! إن الله عز وجل جمع له النبوة والخلافة، ثم توعده في كتابه، فقال: «يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾».

وقوله تعالى: «يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ» إمَّا حكايةٌ لمَا خُوطب به عليه السلام مُبيِّنة لزُلفاه عنده عز وجل، وإمَّا مقولُ قولٍ مقدَّر هو معطوف على غفرنا، أو حال من فاعله، أوْ: وقُلنَا له، أو قائلين له يا داودُ إلخ، أي استخلفناك على المُلك فيها، والحكم فيما بينَ أهلها، أو جعلناك خليفةً ممَّن كان قبلك مَن الأنبياء القائمينَ بالحقِّ.

«فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ»: هذا التكليف مبني على الاستخلاف، للدلالة على أن ذلك واجب الخليفة، وأنه أحق الناس بالحكم بالعدل؛ لأنه هو المرجع للمظلومين، والذي تُرفع إليه مظالم الظلمة من الولاة، فإذا كان عادلاً خشيه الولاة والأمراء؛ لأنه ألف العدل، وكره الظلم، فلا يُقر ما يجري منه في رعيته كلما بلغه، فيكون الناس في حذر من أن يصدر عنهم ما عسى أن يُرفع إلى الخليفة فيقتص من الظالم، وأمّا إن كان الخليفة يظلم في حكمه، فإنه يألف الظلم، فلا يُغضبه إذا رُفعت إليه مظلمة شخص، ولا يحرص على إنصاف المظلوم.

قال الرازي-عفا الله عنه-: اعلم أن الإنسان خلق مدنياً بالطبع؛ لأن الإنسان الواحد لا تنتظم مصالحه إلا عند وجود مدنية تامة، حتى أن هذا يحرث، وذلك يطحن، وذلك يخبز، وذلك ينسج، وهذا يخيط، وبالجملة فيكون كل واحد منهم مشغولاً بمهم، وينتظم من أعمال الجميع مصالح الجميع. فثبتَ أن الإنسان مدني بالطبع، وعند اجتماعهم في الموضع الواحد يحصل بينهم منازعات ومخاصمات،

ولا بد من إنسان قادر قاهر يقطع تلك الخصومات، وذلك هو السلطان، الذي ينفذ حكمه على الكل، فثبت أنه لا ينتظم مصالح الخلق إلا بسلطان قاهر سائس، ثم إن ذلك السلطان القاهر السائس إن كان حكمه على وفق هواه، ولطلب مصالح دنياه، عظم ضرره على الخلق، فإنه يجعل الرعية فداء لنفسه، ويتوسل بهم إلى تحصيل مقاصد نفسه، وذلك يفضي إلى تخريب العالم، ووقوع الهرج والمرج في الخلق، وذلك يفضي بالآخرة إلى هلاك ذلك الملك، أما إذا كانت أحكام ذلك الملك مطابقة للشريعة الحق الإلهية انتظمت مصالح العالم، واتسعت أبواب الخيرات على أحسن الوجوه. فهذا هو المراد من قوله: «فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ» يعني لا بد من حاكم بين الناس بالحق، فكن أنت ذلك الحاكم.

ثم قال: «وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ»، وتفسيره أن متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله، والضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب، فينتج أن متابعة الهوى توجب سوء العذاب.

والتعريف في «ٱلۡهَوَىٰ» تعريف الجنس المفيد للاستغراق، فالنهي يعمّ كل ما هو هوى، سواء كان هوى المخاطب أو هوى غيره، مثل هوى زوجه وولده وسيده، وصديقه، أو هوى الجمهور: «وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨» [الأعراف: ١٣٨].

ومعنى الهوى: المحبة، وأطلق على الشيء المحبوب مبالغة، أي ولو كان هوى شديداً تعلق النفس به. والهوى: كناية عن الباطل والجور والظلم؛ لما هو متعارف من الملازمة بين هذه الأمور وبين هوى النفوس، فإن العدل والإنصاف ثقيل على النفوس فلا تهواه غالباً، ومن صارت له محبة الحق سجية فقد أوتي العلم والحكمة، وأيّد بالحفظ أو العصمة.

والنهي عن اتباع الهوى تحذير له وإيقاظ، ليحذر من جراء الهوى، ويتّهم هوى نفسه ويتعقبه، فلا ينقاد إليه فيما يدعوه إليه، إلا بعد التأمل والتثبت، وقد قال سهل بن حُنيف رضي الله عنه: «اتهموا الرَّأي»، ذلك أن هوى النفس يكون في الأمور السهلة عليها، الرائقة عندها، ومعظم الكمالات صعبة على النفس؛ لأنها ترجع إلى تهذيب النفس والارتقاء بها عن حضيض الحيوانية إلى أوج الملكية، ففي جميعها أو معظمها صرف للنفس عما لاصَقَها من الرغائب الجسمانية الراجع أكثرها إلى طبع الحيوانية؛ لأنها إما مدعوة لداعي الشهوة أو داعي الغضب، فالاسترسال في اتباعها وقوع في الرذائل في الغالب، ولهذا جُعل هنا الضلال عن سبيل الله مسبباً عن اتباع الهوى.

واتباع الهوى قد يكون اختياراً، وقد يكون كرهاً. والنهي عن اتباعه يقتضي النهي عن جميع أنواعه، فأما الاتّباع الاختياري فالحذر منه ظاهر، وأما الاتباع الاضطراري فالتخلص منه بالانسحاب عما جرّه إلى الإكراه، ولذلك اشترط العلماء في الخليفة شروطاً كلّها تحوم حول الحيلولة بينه وبين اتباع الهوى، وما يوازيه من الوقوع في الباطل، وهي: التكليف، والحرّية، والعدالة، والذكورة، وأما شرط كونه من قريش عند الجمهور، فلئلا يضعف أمام القبائل بغضاضة.

وهكذا أمر الله تعالى نبيه داود صلى الله عليه وسلم بالحكم بالحق، ونهاه عن اتباع الهوى، ومعلوم أنه عليه السلام لا يحكم بغير الحق، ولا يتبع الهوى، ولكن الله تعالى، يأمر أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، وينهاهم، ليشرّع لأممهم، ولذلك أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به داود، ونهاه أيضاً عن مثل ذلك، في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: «سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢» [المائدة: ٤٢]. وقوله سبحانه: «وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨» [المائدة: ٤٨]، وقوله جل وعلا: «وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩» [المائدة: ٤٩]، وقوله تعالى: «ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨» [الجاثية: ١٨]، وقوله تبارك وتعالى: «وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨» [الكهف: ٢٨]. وهذا الخطاب وإن كان موجهًا للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد به غيره.

ومن أصرح الأدلة الدالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بخطاب، والمراد بذلك الخطاب غيره يقيناً، قوله تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣» [الإسراء: ٢٣]، ومن المعلوم أن أباه صلى الله عليه وسلم توفي قبل ولادته، وأن أمه ماتت وهو صغير، ومع ذلك فإن الله يخاطبه بقوله تعالى: «إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا»، ومعلوم أنه لا يبلغ عنده الكبرَ أحدُهما، ولا كلاهما؛ لأنهما قد ماتا قبل ذلك بزمان. فتبين أن أمره تعالى لنبيه ونهيه له إنما يراد التشريع على لسانه لأمته، ولا يراد به هو نفسه صلى الله عليه وسلم.

وقد خاطب الله تعالى المؤمنين أنفسهم بهذا الأمر،

فقال تعالى: «مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا (٨٥)» [النساء: ٥٨].

وقوله: «وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» أي: إن الله يأمركم إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل.

والحكم: مصدر حكم بين المتنازعين، أي اعتنى بإظهار المحق منهما من المبطل، أو إظهار الحقّ لأحدهما، وصرّح بذلك، وهو مشتقّ من الحَكْم بفتح الحاء وهو الردْع عن فعلِ ما لا ينبغي، ومنه سميت حَكَمَة اللجام، وهي الحديدة التي تجعل في فم الفرس، ويقال: أحْكِمْ فلاناً، أي أمْسِكْه.

والعدل: ضدّ الجور، فهو في اللغة التسوية، يقال: عَدَل كذا بكذا، أي سوّاه به ووازنه عدلاً، ومنه قول الله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١)» [الأنعام: ١]، ثم شاع إطلاقه على إيصال الحقّ إلى أهله، ودفع المعتدي على الحقّ عن مستحقّه، إطلاقاً ناشئاً عمّا اعتاده الناس أنّ الجور يصدر من الطغاة الذين لا يَعدّون أنفسهم سواء مع عموم الناس، فهم إن شاءوا عدلوا وأنصفوا، وإن شاءوا جاروا وظلموا.

وقد ورد الأمر بالعدل والتعظيم لشأنه في كثير من الآيات والأحاديث:

قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)» [النحل: ٩٠]، وقال تعالى: «فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥)» [الشورى: ١٥]، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)» [النساء: ١٣٥]، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)» [المائدة: ٨]، وقال سبحانه: «وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩)» [الحجرات: ٩].

ومما يدل على وجوب العدل الآيات الواردة في مذمة الظلم:

قال تعالى: «(٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥)» [إبراهيم: ٤٢ – ٤٥]، وقال سبحانه: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢)» [الشورى: ٤٠ – ٤٢]، وقال جل وعلا: «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣)» [يونس: ١٣]، وقال تعالى: «وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥)» [الأنبياء: ١١ – ١٥]، «فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢)» [النمل: ٥٢].

ومن الأحاديث:

عَنْ عَبْد اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عزَّ وجل، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» [مسلم ١٨٢٧].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ» [متفق عليه].

وَعَنْ أَبِي بُرَيْدَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ» [أبو داود ٣٥٥٦ وصححه الألباني].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» [مسلم ٢٥٧٨].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ «وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)» [هود: ١٠٢] [متفق عليه].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا رَوَى عَنِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا» [مسلم ٢٥٧٧].

ويدخل العدل في جميع المعاملات: في الدماء، والأموال، والأعراض، القليل من ذلك والكثير، على القريب والبعيد، والبر والفاجر، والولي والعدو؛ لأن

الله تعالى قال: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨)» [النساء: ٥٨]. هكذا عدلاً شاملاً «بَيْنَ النَّاسِ» جميعاً. لا عدلاً بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب. ولا عدلاً مع أهل الكتاب، دون سائر الناس، وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه «إنساناً».

فهذه الصفة - صفة الناس - هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني. وهذه الصفة يلتقي عليها البشر جميعاً: مؤمنين وكفاراً. أصدقاء وأعداء. سوداً وبيضاً. عرباً وعجماً. والأمة المسلمة قيّمة على الحكم بين الناس بالعدل - متى حكمت في أمرهم - هذا العدل الذي لم تعرفه البشرية قط - في هذه الصورة - إلا على يد الإسلام، وإلا في حكم المسلمين، وإلا في عهد القيادة الإسلامية للبشرية. والذي افتقدته من قبل ومن بعد هذه القيادة، فلم تذق له طعماً قط، في مثل هذه الصورة الكريمة التي تتاح للناس جميعاً؛ لأنهم «ناس»! لا لأية صفة أخرى زائدة عن هذا الأصل الذي يشترك فيه «الناس»! وذلك هو أساس الحكم في الإسلام.

ولا بد لتحقيق الحق، وتوفير العدل من سن القوانين والشرائع التي يلتزمها الحكام فيعدلون، والقوانين الوضعية لا تصلح لهذه الغاية، فإنّ بعض القوانين أسّست بدافعة الغضب والأنانية، فتضمّنت أخطاء فاحشة، مثل القوانين التي يمليها الثوار بدافع الغضب على من كانوا متولين الأمور قبلهم، وبعض القوانين المتفرّعة عن تخيّلات وأوهام، كقوانين أهل الجاهلية والأمم العريقة في الوثنية. وأحكم القوانين وأسلمها هي الشرائع الإلهية؛ لمناسبتها لحال من شرعت لأجلهم، وأعظمها شريعةُ الإسلام لابتنائها على أساس المصالح الخالصة أو الراجحة، وإعراضها عن أهواء الأمم والعوائد الضالة، فإنها لا تعبأ بالأنانية والهوى، ولا بعوائد الفساد؛ ولأنّها لا تبنى على مصالح قبيلة خاصّة، أو بلد خاصّ، بل تبتنى على مصالح النوع البشري وتقويمه وهديه إلى سواء السبيل؛ لأنها تنزيل من رب العالمين، العليم الحكيم، اللطيف الخبير، الذي لا يحابي ولا يجامل؛ لأن الخلق كلهم عنده سواء، لأنهم جميعاً عبيده. قال تعالى: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣)» [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)» [الحديد: ٢٥]. وخص سبحانه أشرف الكتب بالذكر والتنبيه على أن الحكمة من تنزيلها أن يحكم بها الناس، فقال تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)» [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: «وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)» [المائدة: ٤٦ - ٤٨]. «فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ»؟، هل من مستجيب؟ نرجو الله أن يوفق ولاة أمورنا لتطبيق شرع ربنا، حتى يعمنا الأمن والأمان، والسلامة والسلام، وحتى تبقى الدول، فإن من سنن الله تعالى أنه يهلك الأمم بظلمهم، كما سبق بيانه، ومن الظلم عدم الحكم بما أنزل الله، كما قال سبحانه: «وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥)» [المائدة: ٤٥].

ثم ختم الله تعالى الآية بقوله: «إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ» أي يومَ القيامة بسبب نسيانهم يوم الحساب.

والله تبارك وتعالى قد علق العذاب في الآخرة على نسيان يوم الحساب في أكثر من آية، قال تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)» [السجدة: ١٢- ١٤].

وقال تعالى: «وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١)» [الأعراف: ٥٠ - ٥١]، فلا تنس أنك إلى الله راجع، وبين يدي الله موقوف، وأمام الله مسئول وتذكر:

تذكر يوم تأتـي الله فرداً
وقد نصبت موازين القضاء
وهتكت الستور عن المعاصي
وجاء الذنب منكشف الغطاء

نسأل الله تعالى أن يسترنا في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

باب السنة

وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم للولاة

إعداد/ زكريا حسيني



الحمد لله الحكم العدل الغفور الرحيم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين، فكانت بعثته صلى الله عليه وسلم تحولاً عظيمًا في حياة البشرية من الجور والظلم إلى العدل والرحمة، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة». [متفق عليه: البخاري: ٧١٥٠، ومسلم: ١٤٢].

وعنه رضي الله عنه أنه قال لعبيد الله بن زياد عندما زاره في مرضه الذي مات فيه، فقال له معقل: أحدثك حديثًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم، إلا حرم الله عليه الجنة». [متفق عليه: البخاري ٧١٥١، ومسلم: ٢١٤٢].

راوي الحديث

قال صاحب «أسد الغابة»: معقل بن يسار بن عبد الله بن معبر بن حراق بن لؤي بن كعب، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو يسار، وأبو علي، المزني، ويقال لولد عثمان وأوس ابني عمرو: مزينة، نسبوا إلى أمهم مزينة بنت كلب بن وبرة.

صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد بيعة الرضوان، روي عنه أنه قال: «بايعناه على ألا نفرّ».

سكن البصرة، وابتنى بها دارًا، وإليه ينسب نهر معقل الذي بالبصرة، وتوفي بها آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وقيل: إنه توفي أيام يزيد بن معاوية. وساق الحديث الذي معنا، وقال الإمام الذهبي في «السِّير» له عن النبي صلى الله عليه وسلم والنعمان بن مقرن. وحدث عنه عمران بن حصين - مع تقدمه - والحسن البصري، وأبو المليح بن أسامة، ومعاوية بن قرة المزني،

وعلقمة بن عبد الله المزني، وآخرون، وقال صاحب أسد الغابة: روى عنه عمرو بن ميمون الأودي، وأبو عثمان النهدي والحسن البصري، وله أحاديث، وكذا قال صاحب «الاستيعاب» وزاد: وجماعة من أهل البصرة.

شرح الحديث

ثبت في روايات هذا الحديث أن الصحابي معقل بن يسار - رضي الله عنه - عندما كان في مرض الموت وهو مقيم بالبصرة جاء أصحابه يعودونه وفيهم الإمام الحسن البصري رحمة الله عليهم أجمعين، فدخل عليه عبيد الله بن زياد يعوده، فقال له معقل رضي الله عنه: أحدثك حديثًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في رواية الحسن البصري - عند مسلم -: «لو علمت أن لي حياة ما حدثتك»، وفي رواية أبي المليح عند مسلم أيضًا: «إني محدثك بحديث لولا أني في الموت لم أحدثك به»، وساق الحديث رضي الله تعالى عنه.

وعبيد الله بن زياد بن أبيه - الذي يُقال له زياد بن أبي سفيان - قال الحافظ في الفتح: وقد علق على قول معقل رضي الله عنه: «لولا أني في الموت ما حدثتك». زاد مسلم في آخره قال: «ألا كنت حدثتني هذا قبل اليوم؟» قال: «لم أكن لأحدثك»، قيل: سبب ذلك هو ما وصفه به الحسن البصري من سفك الدماء، فكأنه كان يخشى بطشه، فلما نزل به الموت أراد أن يكف بذلك بعض شرّه عن المسلمين، قال: وقد أخرج الطبراني في الكبير من وجه آخر عن الحسن قال: «لما قدم علينا عبيد الله بن زياد أميرًا أمّره علينا معاوية غلامًا سفيهًا يسفك الدماء سفكًا شديدًا، وفينا عبد الله بن معقل المزني، فدخل عليه ذات يوم فقال له: انته عما أراك تصنع، فقال له: وما أنت وذاك؟ قال (أي الحسن): ثم خرج إلى المسجد، فقلنا له: ما كنت تصنع بكلام هذا السفيه على رءوس الناس؟ فقال: إنه كان عندي علم فأحببت ألا أموت حتى أقول به على رءوس الناس، ثم قام فما لبث أن مرض مرضه الذي توفي فيه، فأتاه عبيد الله بن زياد يعوده، فذكر نحو حديث الباب، فيحتمل أن تكون القصة وقعت للصحابيين.

ونقل الإمام النووي قول القاضي عياض - رحمهما الله تعالى -: إنما فعل ذلك لأنه علم قبل هذا أنه لا ينفعه الوعظ، كما ظهر منه مع غيره، ثم خاف معقل من كتمان الحديث ورأى تبليغه، أو فعل ذلك لأنه خافه وخشي بطشه لما يهيج عليه هذا الحديث ويثبته في قلوب الناس من سوء حاله.

قال النووي: والاحتمال الثاني هو الظاهر، والأول ضعيف؛ فإن الأمر بالمعروف لا يسقط باحتمال عدم قبوله، والله أعلم.

تحذير الولاة من غش رعيتهم

ونقل النووي أيضًا قول القاضي عياض: معناه - أي الحديث - بَيِّنٌ في التحذير من غشّ المسلمين، لمن قلده الله تعالى شيئًا من أمرهم واسترعاه عليهم، ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم، فإذا خان فيما اؤتمن عليه؛ فلم ينصح فيما قُلِّدهُ، إما بتضييعه تعريفهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به، وإما بالقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم، والذبّ عنها لكل متصدّ لإدخاله داخلة فيها أو تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حوزتهم ومجاهدة عدوهم، أو ترك سيرة العدل فيهم فقد غشهم، قال: وقد نبَّه النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك من الكبائر الموبقة المبعدة عن الجنة، والله أعلم.

وذكر الحافظ في الفتح قول ابن بطال: هذا وعيد شديد على أئمة الجور، فمن ضيَّع من استرعاه الله أو خانهم أو ظلمهم، فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة، فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة.

هذا، وقد بيَّن النبي صلى الله عليه

وسلم منزلة الإمام العادل الذي يعدل في رعيته، ولا يستعمل الظلم معهم أو الجور عليهم كما جاء في حديث: «سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» [متفق عليه]، وهو أول السبعة المذكورين في الحديث الذين يستظلون بظل عرش الرحمن يوم القيامة في الحر الشديد الذي يغرق الناس فيه في عرقهم من حرارة الشمس، فكل يبحث عن ظل فلا يجد، ولكن الله تعالى يُظل هؤلاء في ظل عرشه فيقيهم حر الشمس، وبالتالي فهو سبحانه يقيهم حر جهنم، وقد جاء أيضًا في بيان فضيلة الإمام العادل حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المقسطين عند الله، على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» [مسلم ٧٢٨١].

فالمقسطون هم العادلون الذين يعدلون في حكمهم وفي أهليهم، وفيما ولاهم الله تعالى عليهم من الناس، وهؤلاء يحبهم الله تبارك وتعالى، قال عز وجل: «وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» [الحجرات:٩]، وبيّن الحديث أنهم على منابر، قال النووي: «الظاهر أنها منابر حقيقة، ويتضمن أيضًا المنازل الرفيعة العالية»، وقد بين الحديث أن الفضل المذكور إنما هو لمن عدل فيما تقلده من خلافة أو إمارة، أو قضاء، أو حسبة، أو كان ناظرًا أو وصيًا على يتيم أو مسئولاً عن الصدقة أو ناظر وقف، وكذلك يجب العدل فيما يلزمه من حقوق عياله وأهله، وغير ذلك.

الرفق بالرعية

في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا: «اللهم مَن ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به». [مسلم: ٨٢٨١]، وعنها أيضًا - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما كان الرفق في شيء إلا زَانَهُ، ولا نُزع من شيء إلا شانه». [مسلم: ٤٩٥٢، وأحمد ٢٥٣٤٢].

يوجه النبي صلى الله عليه وسلم الولاة إلى الرفق برعاياهم، وعدم المشقة، وذلك في صيغة دعاء يتوجه إلى الله تعالى به أن يرفق بمن رفق برعيته من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن مَن شق عليهم وحملهم ما لا يطيقون سواء من أمور المعاش أو المعاد أن يجد جزاء ذلك من الله سبحانه بأن يشق عليه، ويذيقه بعض ما فعل برعيته، فكل من ولي أمرًا من أمور المسلمين وجب عليه أن يحوطهم برعايته، وأن يرفق بهم.

ولن يستطيع أن يرفق بأحد إذا كان هو يعيش بعيدًا عن الناس، محتجبًا عنهم، لا يعرف فقيرهم ولا مريضهم ولا ذوي الحاجات منهم، ولا يعرف ما يتعرضون له من جوع وفقر، ولا يعرف ماذا يدور في تعليمهم، ولا ما يتصل بعلاج مرضاهم، فهو كما يقال: يعيش في برج أو قصر عاجي، لا ينزل إلى الناس ولا يتفقد أحوالهم، ولا يحوطهم بنصيحة فيما ينفعهم في دنياهم، وفي دينهم، وفي آخرتهم، فأنى يأتي الرفق من مثل هذا؟

إنه قد نُزع منه الرفق، فشانت حياته بالنسبة لرعيته، فبدلاً من أن يحبوه ويدعوا له، ينقمون عليه ويدعون عليه، وحينئذ يكون شر الرعاة وأسوأ الولاة، وليس من خيارهم في شيء، ومن شق على المسلمين وظلمهم ولم يقم العدل

فيهم والرحمة بهم، ولا يبالي بمن يعيش من رعيته تحت خط الفقر - كما يقال - فمن الناس من لا يجد له مأوى يؤويه، ولا ملبسًا يستر عورته، ومنهم من لا يجد قوت يومه، ومنهم المريض الذي لا يستطيع أن يجد الدواء أو ثمنه ليتداوى به، ومنهم من لا يجد عملاً يرتزق منه، فكل هؤلاء يُسْأل عنهم من تولى أمرهم، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذيَّ على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع علَى أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة مسئولة عن بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». [متفق عليه].

فينبغي أن يُعلم أن الأمير مسئول عن رعيته، يُسأل عنهم يوم القيامة؛ حفظهم ونصح لهم وعدل فيه ورفق بهم، أم ضيعهم وغشهم، وظلمهم أو جارَ وشق عليهم، فإن كانت الأولى فهو في ظل عرش الرحمن يوم القيامة، وعلى منبر من نور عن يمين الرحمن، وفي الدنيا يرفق الله عز وجل به ويوفقه ويسدده إلى ما فيه صلاح نفسه وأهله وولده ورعيته، وإن كانت الأخرى فإنه يُوكل إلى نفسه في الدنيا ويشق الله تعالى عليه، ولا يوفقه، ولا يسدده، بل يعيش في تيه، يستجلب ما يزيده ظلمًا على ظلم وغشًا على غش، بل قد يغرس الغش والظلم في رعيته ويشيع بينهم الرشوة، وأكل أموال الناس بالباطل، وهو في الآخرة مبعد عن ظل الله تعالى يوم القيامة، ولا يجد ريح الجنة بل يكبّه الله تعالى في النار.

وبعدُ:

فهل يعي ذلك من شريعة الإسلام أعداء أنفسهم الذين جهلوا دينهم أو تجاهلوا ما فيه من عدل ورحمة، حتى يصرح بعضهم أنهم لا يريدون الشريعة، فلا يقبلون شرع الله تعالى، بينما هم يحبون أن يستجلبوا شرائع وقوانين من عند غير المسلمين، وقوانين البشر غالبًا يشوبها النقص، بل الظلم، فإذا وضع القوانين الفقراء فإنهم سيوجهونها إلى ظلم الأغنياء، وإذا وضعها العمال فستكون في غير صالح أصحاب الأعمال، وهكذا.

وأما شرع الله الخالق الذي يعلم ما يُصلح خلقه وما يصلح لهم، فالله تعالى يقول: «ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ» [البقرة:١٤٠]، وقال سبحانه وتعالى: «وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [البقرة:٢١٦]، وقال تعالى: «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾» [الملك:١٤]ويظن بعض هؤلاء أنهم أوتوا من علم السياسة أو الاقتصاد ما يمكنهم من التشريع للناس، ورب العزة سبحانه وتعالى يقول: «وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» [الإسراء:٨٥]، بل عندما أثبت لهم علمًا أعلمنا سبحانه أنه عِلْمٌ بظاهر الحياة الدنيا وليس علمًا بحقيقتها، فقال جل من قائل: « يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾» [الروم:٧].

فليعُد المسلمون إلى ربهم وإلى دينهم، يعملون به في حياتهم، ويحكمونه في كل شئونهم، فإذا فعلوا ذلك سعدوا في الدنيا، وانتصروا، وكانت لهم العزة، ونجوا في الآخرة من عقاب الله تعالى، وحاطهم ربهم سبحانه وتعالى بفضله ورحمته ورفق بهم.

نسأل الله تعالى أن يهدي ضال المسلمين إلى صراطه المستقيم، وأن يقينا ويقيهم شرور أنفسنا وأنفسهم، وأن يرد المسلمين إلى دينه ردًا جميلاً، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو نعم المولى ونعم النصير. وصلى الله وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٢٧٥٠- عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَبَطْتُ وَهَبَطَ النَّاسُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَصْمَتَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَيَّ وَيَرْفَعُهُمَا فَأَعْرِفُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي.

[حم (٢٠١/٥) (ح٢١٦٥٢)، ت(٣٨١٧)، واللفظ له، وقال: «هذا حديث حسن غريب»].

٢٧٥١- عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ جُعِلَ مَثَلاً لِلدُّنْيَا وَإِنْ قَزَّحَهُ وَمَلَّحَهُ فَانْظُرُوا إِلَى مَا يَصِيرُ.

[عبد الله في «زوائد المسند» حم (١٣٦/٥/٢١٢٧٧)، وهذا حديث حسن، ومعنى قزّحه: توبله من القزح وهو التابل الذي يطرح في القدر].

٢٧٥٢- عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تَصُومُ حَتَّى لَا تَكَادَ تُفْطِرُ وَتُفْطِرُ حَتَّى لَا تَكَادَ أَنْ تَصُومَ إِلَّا يَوْمَيْنِ إِنْ دَخَلَا فِي صِيَامِكَ وَإِلَّا صُمْتَهُمَا قَالَ أَيُّ يَوْمَيْنِ قُلْتُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ قَالَ ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ. [ن(٢٠٢/٤)، وهو حديث حسن صحيح].

٢٧٥٣- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ أَنَا فَاعِلٌ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ قَالَ اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ قَالَ فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ.

[ت: (٢٤٣٣). وقَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ].

٢٧٥٤- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ».

[ن(٥٠/٣)، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٧٥٥- عن أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَتْ الْأَنْصَارُ بِالْأَجْرِ كُلِّهِ قَالَ لَا مَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ. [د(٤٨١٢)، هذا حديث صحيح].

٢٧٥٦- عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «جُعِلَتْ لِيَ كُلُّ أَرْضٍ طَيِّبَةٍ مَسْجِدًا وَطَهُورًا». [ابن الجارود في «المنتقى» (١٢٤)، وهو حديث صحيح].

قلت: حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ».

[متفق عليه: خ(٤٣٨)، واللفظ له، م(٥٢١)، وفي لفظه: «وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا».

تنبيه: حتى لا يتقول علينا من لا علم له بمعرفة طرق الأحاديث ومراتبها من الصحة التي

هي الأساس لهذه السلسلة.

٢٧٥٧- عن أَنَس بْنِ مَالِك رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، عَلَى رُطَبَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَتُمَيْرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُمَيْرَاتٌ، حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ»

[ت: (٦٩٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ].

٢٧٥٨- عن أَنَس بْنِ مَالِك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا يَجِدُ عَبْدٌ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ حَتى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا أَخطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيصيبهُ».

[رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٤٧)، وهو حديث حسن].

قلت: هناك حديث أبي الدرداء مرفوعًا: «لكل شيءٍ حَقيقةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقيقة الإيمان حتَّى يَعْلَمَ...». وقد أوردناه في هذه السلسلة (ح٢٦٤٤).

٢٧٥٩- عن أَنَسِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ فَقَالَ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ. [جه: (٣٨٥٨)، وهو حديث حسن صحيح].

٢٧٦٠- عَنْ الْبَرَاءِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى جَخَّى.

[ن(٢١٣/٢)، وهو حديث حسن صحيح، جخَّى: فتح عضديه].

٢٧٦١- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ خَلْفِه فَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ وَهُوَ مُجَخٍّ قَدْ فَرَّجَ بَيْنَ يَدَيْهِ. [د(٨٩٩)، وهو حديث صَحيح].

٢٧٦٢- عن أَحْمَرَ بْنِ جَزْءٍ - صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا سَجَدَ جَافَى عَضُدَيْهِ عَنْ جَنْبَيْهِ حَتَّى نَأْوِيَ لَهُ.

[د (٩٠٠)، وهو حديث حسن صحيح].

٢٧٦٣- عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ حَلَفَ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ الإِسْلَامِ فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الإِسْلَامِ سَالمًا.

[ن(٦/٧)، وهو حديث صَحيح، (فإن كان كاذبًا) أي فيما علق عليه البراءة].

٢٧٦٤- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بِالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَنَحْوِهِمَا مِنْ السُّوَرِ.

[د(٨٠٥)، ت(٣٠٧)، وقال: حديث حسن صحيح].

٢٧٦٥- عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنُصِيبُ مِنْ آنِيَةِ الْمُشْرِكِينَ وَأَسْقِيَتِهِمْ فَنَسْتَمْتِعُ بِهَا فَلَا يَعِيبُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ.

[د(٣٨٣٨)، وهذا حديث صحيح.

٢٧٦٦- عَنْ حُذيفةَ بن اليمانِ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ في سِكة مِن سِكَك المدينة: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَالحَاشِرُ، والمُقفِي، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ».

[حم (٤٠٥/٥)، ح(٢٣٤٩٠) وهو حديث حسن].

٢٧٦٧- عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَقَالَ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفِّي وَالْحَاشِرُ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ.

[م(٢٣٥٥)، صحيح].

قلت: وهناك حديث جبير بن مطعم «لي خمسة أسماء» متفق عليه أوردناه في هذه السلسلة برقم (١٢٤).



دراسات قرآنية

دلائل عظمة القرآن

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فإن الحديث عن عظمة القرآن الكريم أعظم من أن يحيط به بشر، فكيف بمن يكتب أوراقًا محدودة، في أشهر معدودة، فأنى له أن يفي عمًّا يكتب بحقه، أو قريب منه، إنه القمة العليا والتي لن نصل إليها مهما اجتهدنا ولكننا نقترب منها كلما اجتهدنا؛ لأنه كتاب الله، به تكلم، وفيه أودع تلك العظمة، ومع ذلك فلا بد من استجلاء هذه العظمة، وتلك الخصوصية، فقد استولى على العقول، وهيمن على القلوب، فأبدعت الألسن في وصفه وسالت الأقلام في نعته، ولا غرابة في ذلك فهو أحسن الحديث وأعظمه وأطيبه وأحكمه، وهو الكتاب الذي لا ريب فيه، ولا نقص يعتريه؛ لبلاغته وسمو إرشاداته ودقة معلوماته، وقوة دلائله وبياناته، وجمال عباراته:

وسيكون حديثنا حول عظمة القرآن، ومظاهر هذه العظمة ودلائلها على النحو التالي:

١- ثناء الله على كتابه:

أثنى الله تعالى على كتابه العزيز في آيات كثيرة، مما يدل على عظمته كما وصفه «بالعظيم» في قوله تعالى: « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ »[الحجر:٨٧]، ووصفه «بالإحكام» في قوله تعالى: «الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ » [هود:١].

وذكر هيمنته على الكتب السابقة في قوله تعالى: « وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ » [المائدة:٤٨]، فهذا الكتاب هو المهيمن الحافظ لمقاصد الكتب المنزلة قبله، الشاهد المؤتمن على ما جاء فيها، ووصفه في أم الكتاب بأنه «عليٌّ حكيم» في قوله تعالى: « وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ » [الزخرف:٤]، فهذه شهادةٌ من الله تعالى بعلوِّ شأن القرآن وحكمته.

ولا ريب أن من عظمة القرآن أنه: (عَلِيٌّ) في محله، وشرفه، وقدره فهو عالٍ على جميع كتب الله تعالى، بسبب كونه معجزًا باقيًا على وجه الدهر.

ومعنى الحكيم: المنظوم نظمًا متقنًا لا يعتريه أيُّ خلل في أي وجه من الوجوه، فهو حكيم في ذاته،

حاكم على غيره.

والقرآن (حكيم) كذلك فيما يشتمل عليه من الأوامر، والنواهي، والأخبار، فليس فيه حكمٌ مخالف للحكمة والعدل والميزان، ومن ثناء الله تعالى على القرآن أن وصفه في ثلاث سور بأنه «كتاب مبارك»، وبركة هذا الكتاب تمتد إلى يوم القيامة، فعطاؤه نام لا ينفد، يواكب الحياة بهذا العطاء، ثم يأتي شفيعًا لأصحابه.

٢- عظمة منزله سبحانه وتعالى:

العظيم: ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه، كذلك تعرفه العرب في خطبها ومحاوراتها، يقول قائلهم: مَن عظيم بني فلان اليوم؟ أي: مَن له العظمة والرئاسة منهم؟ فيقال: فلان عظيمهم، ويقولون: هؤلاء عظماءُ القوم، أي: رؤساؤهم، وذوو الجلالة والرئاسة منهم، وهناك فرق بين عظمة الخالق والمخلوق، فالمخلوق قد يكون عظيمًا في حال دون حال، وفي زمان دون زمان، فقد يكون عظيمًا في شبابه، ولا يكون كذلك عند شيبه، وقد يكون ملكًا أو غنيًا في قومه، فيذهب ملكه وغناه أو يفارق قومه، وتذهب عظمته معها، لكن الله سبحانه وتعالى هو العظيم أبدًا.

قال الأصبهاني: العظمةُ صفة من صفات الله، لا يقوم لها خلقٌ، والله تعالى خلق بين الخلق عظمة يعظّم بها بعضهم بعضًا، فمن الناس من يعظّم لمال، ومنهم من يُعظّم لفضل، ومنهم من يعظّم لعلم، ومنهم من يعظّم لسلطان، ومنهم من يعظّم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يعظّم بمعنى دون معنى، والله عز وجل يعظم في الأحوال كلها.

فينبغي لمن عرف حق عظمة الله، ألا يتكلم بكلمة يكرهها الله، ولا يرتكب معصية تغضب الله، إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت.

فالله تعالى هو العظيم على الإطلاق؛ لأنه عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه وصفاته كلها، فلا يجوز قصر عظمته في شيء دون شيء منها؛ لأن ذلك تحكم لم يأذن به الله.

قال ابن القيم في نونيته:

وهو العظيمُ بكل معنىً يوجبُ
التعظيمَ لا يُحصيه من إنسان

فمن عظمته تعالى: أنه لا يشق عليه أن يحفظ السماوات والأرض السبع، ومن فيهما وما فيهما، كما قال تعالى: «ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ (٢٥٥)» [البقرة:٢٥٥].

وتتجلى عظمة القرآن العظيم في عظمة مُنزله جل جلاله.

٣- فضل من نزل بالقرآن:

نوَّه الله تعالى بشأن من نزل بالقرآن على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو جبريل عليه السلام، أمين الوحي الإلهي، وذكر فضله في عدة آيات، منها:

- قوله تعالى: «قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ (١٠٢)» [النحل:١٠٢]. و(روح القدس): جبريل عليه السلام.

والروح: الملك، كما قال تعالى: «فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا (١٧)» [مريم:١٧] أي: مَلَكا من ملائكتنا.

والقدس: بضمتين، ويضمٍّ فسكون، مصدر، أو اسم مصدر، بمعنى: النزاهة والطهارة أو الطهر، والمراد به هنا: معنياه الحقيقي والمجازي، الذي هو الفضلُ وجلالة القدر، وإضافة الروح إلى القدس، من إضافة الموصوف إلى الصفة، كقولهم حاتم الجود، وزيدُ الخير، والمراد: حاتم الجواد، وزيدٌ الخيّر، فالمعنى: الملك المقدس، وقوله تعالى: «وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ (١٩٣)» [الشعراء:١٩٢].

وسُمي جبريلُ عليه السلام بالروح لعدة أوجه:

١- لأنه روح مقدسة، فوصفه بذلك تشريفًا له وبيانًا لعلو مرتبته.

٢- لأن الدين يحيا به، كما يحيا البدن بالروح، فهو المتولي لإنزال الوحي إلى الأنبياء.

٣- لأن الغالب عليه الروحانية، وكذلك سائر الملائكة، غير أن روحانيته أتم وأكمل.

وقد وصف الله تعالى جبريل عليه السلام

بخمس صفات في قوله تعالى: «إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾» [التكوير:١٩].

صفات جبريل الأمين عليه السلام:

الصفة الأولى: أنه كريم: فهو رسول كريم وليس كما يقول أعداؤه: إن الذي جاء به شيطان، فإن الشيطان خبيث مخبث، لئيم، قبيح المنظر، عديم الخير، باطنه أقبح من ظاهره، وظاهره أشنع من باطنه، وليس فيه ولا عنده خير، فهو أبعد شيء عن الكرام، والرسول الذي ألقى القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم كريمٌ جميل المنظر، بهيُّ الصورة، كثير الخير، طيب مطيّب، معلم الطيبين.

الصفة الثانية: أنه ذو قوة:

كما قال تعالى في موضع آخر: «عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾» [النجم:٥]، وفي ذلك تنبيه على أمور:

١- أنه بقوته يمنع الشياطين أن تدنو منه، وأن ينالوا منه شيئًا، وأن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه، بل إذا رآه الشيطان هرب منه ولم يقربه.

٢- أنه مُوالٍ لهذا الرسول الذي كذبتموه، ومُعاضدٌ له، ومُوادٌّ له ومناصر، كما قال تعالى: «إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾» [التحريم:٤].

ومن كان هذا القويُّ وليَّه، ومِنْ أنصاره، وأعوانه، ومعلمه، فهو المهتدي المنصور والله هاديه وناصره.

٣- أن من عادى هذا الرسول فقد عادى صاحبه ووليه جبريل، ومن عادى ذا القوة والشدة فهو عُرضةٌ للهلاك.

٤- أنه قادر على تنفيذ ما أمر به؛ لقوته، فلا يعجز عن ذلك، مُؤدٍّ له كما أُمر به لأمانته، فهو القوي الأمين، وهذا يدل على عظمة شأن المرسل، والرسول والرسالة، والمرسل إليه، والمرسل به؛ لأنه انتدب له الكريم القوي المكين عنده والمطاع في الملأ الأعلى، فإن الملوك لا ترسل في مهماتها إلا الأشراف، ذوي الأقدار والرتب العالية.

الصفة الثالثة: أنه مكين عند الرب تعالى:

كما قال تعالى: «ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾» [التكوير:٢٠].

والمكينُ: فعيلٌ، صفةٌ مشبهة من مَكُنَ بضم الكاف، مكانةً، إذا علت رتبتهُ عند غيره، كما قال الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام مع الملك: «وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾» [يوسف:٥٤]، وتوسيط قوله: «عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ» [التكوير:٢٠]، بين «ذي قوة» و«مكين» ليتنازعه كلا الوصفين على وجه الإيجاز، أي: هو ذو قوة عند الله، أي جعل الله تعالى مقدرة جبريل عليه السلام تُخوِّله أن يقوم بعظيم ما يوكله الله به مما يحتاج إلى قوة القدرة وقوة التدبير، وهو ذو مكانة عند الله وزلفى.

وعُدِل عن اسم الجلالة إلى (ذي العرش) لتمثيل حال جبريل عليه السلام ومكانته عند الله تعالى بحال الأمير المنفذ لأمر الملك وهو يحمل الكرامة لديه.

فجبريل عليه السلام له مكانة ووجاهة عند الله تعالى، وهو أقرب الملائكة إليه، يشهد له قوله تعالى: «عند ذي العرش» إشارةً إلى علو منزلته، إذ كان قريبًا من ذي العرش سبحانه.

الصفة الرابعة: أنه مطاع في السماوات:

وفي قوله: «مطاع ثم» إشارة إلى أن جنوده وأعوانه من الملائكة الكرام يطيعونه كما يطيع الجيشُ قائدهم، لنصر صاحبه وخليله محمد صلى الله عليه وسلم.

وفيه إشارة أيضًا إلى أن هذا الذي تكذبونه وتعادونه سيصبح مطاعًا في الأرض، كما أن جبريل مطاعٌ في السماء، وأن كلا من الرسولين مطاع في محله وقومه، وفيه تعظيم له بأنه بمنزلة الملوك المطاعين في قومهم، فلم ينتدب لهذا الأمر العظيم إلا مثل هذا الملك المطاع.

الصفة الخامسة: أنه أمين:

وفي وصفه بالأمانة إشارة إلى حفظ ما حمله، وأدائه له على وجهه دون نقص ولا تغيير.

وفيما تقدم من عظمة أوصاف جبريل عليه السلام، تبين لنا - بقياس الأولى - عظمة القرآن الذي نزل به، وعلو شأنه، ومنزلته عند الله تعالى.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص المقاصد

إعداد / متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

تكلمنا في العدد السابق عن بعض ما أُثير حول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأنه كان يقدم المصلحة على النص، وضربوا لذلك أمثلة؛ كإبطال سهم المؤلفة قلوبهم، وإسقاطه حد السرقة، وقد بيَّنا أن هذه الافتراءات غير صحيحة، بل باطلة، بعد عرضها على قواعد العلم وقوانينه، ونستأنف البحث إن شاء الله.

عمر رضي الله عنه ومناط الدليل:

مناط الدليل هو تطبيق الدليل، وإنزاله على الوقائع أو الأشخاص (تطبيق الدليل على أفراده)، فإذا تقرر أن «كل مسكر حرام»، فتحقيق المناط هنا من ناحية الشخص، هل هو يعلم بحرمة الخمر أم لا؟ إلى غير ذلك.

وبالنسبة للشراب هل هو يؤدي إلى الإسكار أم لا؟

فإذا استوفيت الشروط في الشارب والمشروب، تم تطبيق العقوبة عليه، وإلا فلا.

وتحقيق المناط (وهو إنزال الدليل على الواقعة) يختلف من عالم لآخر، ومن واقعة لأخرى، وبين شخص وآخر.

مثال ذلك: أن يحيى بن حاطب قال: توفي حاطب، فأعتق من صلى من رقيقه وصام، وكانت له أَمَة نوبية، قد صلت وصامت، وهي أعجمية لم تفقه، فلم ترعه إلا بحبلها، وكانت ثيبًا، فذهب إلى عمر، فحدثه، فقال عمر: لأنت الرجل، لا يأتي بخير، فأفزعه ذلك، فأرسل إليها عمر، فقال: أحبلت؟ فقالت: نعم من مرعوش بدرهمين، فإذا هي تستهل بذلك ولا تكتمه، قال: وصادف عليًا وعثمان وعبد الرحمن، فقال: أشيروا عليَّ، قال: وكان عثمان جالسًا فاضطجع، فقال علي وعبد الرحمن بن عوف: قد وقع عليها الحد (أي الرجم؛ لأنها حرة ومحصنة)، فقال: أشر عليَّ يا عثمان، فقال: أشار عليك أخواك، فقال: أشر عليَّ أنت، فقال: أراها تستهل به؛ كأنها لا تعلمه، وليس الحد إلا على من علمه، فقال: صدقت، والذي نفسي بيده ما الحد إلا على من علمه، فجلدها عمر مائة، وغرَّبها عامًا (تعزيرًا من عمر لأنها لم تسأل وليس حدًا).

[أخرجه الشافعي ومن طريقه البيهقي ٢٣٨/٨، وقال الألباني في إرواء الغليل بضعف إسناده، لكن الحديث له شواهد عن عمر وعثمان رواها عبد الرزاق في المصنف ٤٠٣/٧، ٤٠٤/٧ بأسانيد صحيحة، فمسلم بن خالد الذي أعلَّ به الشيخ الألباني الحديث في رواية الشافعي والبيهقي تُوبع بابن جريج عند عبد الرزاق، وابن جريج وإن كان مدلسًا وقد عنعنه في رواية الشافعي فإنه صرَّح بالتحديث عند عبد الرزاق].

فتحقيق المناط في هذه الواقعة، وهو إقامة الحد (الرجم) على المرأة اختلف بين الصحابيين علي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف اللذان رأيا إقامة الحد عليها.

بينما رأى عثمان بن عفان رضي الله عنه أن المناط لم يتحقق فيها، لجهلها، وبالتالي رأى عدم إقامة الحد عليها، ووافقه عمر، أي؛ تحقيق المناط

في واقعة واحدة، اختلف فيه فتوى الصحابة، وذلك لاختلاف زاوية النظر إلى الواقعة.

مثال آخر: قوله تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾» [المائدة:٤٤]، لكن الاجتهاد يكون في تحقيق مناطها على الأعيان (الأفراد)، فلا بدَّ من تحقق شروط، وانتفاء موانع قبل الحكم على فرد بعينه بالكفر.

فيكون موضع تحقيق المناط: هل تحققت الشروط وانتفت الموانع في حق المعين أم لا؟

ومن هذا الباب فإن الإمام أحمد مع قوله بكفر من قال بخلق القرآن، إلا أنه لم يكفِّر من قال بذلك من الخلفاء؛ لأنه رأى أن المناط لم يتحقق فيهم.

وحول اختلاف العلماء في تحقيق المناط، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإنما قد يختلفون في بعض الأخبار هل هو قطعي السند أو ليس بقطعي؟ وهل هو قطعي الدلالة أو ليس بقطعي». [الفتاوى: ٢٥٧/٢٠].

وقال أيضًا: «... وكل من كان بالأخبار أعلم قد يقطع بصدق أخبار لا يقطع بصدقها من ليس مثله، وتارة يختلفون في كون الدلالة قطعية؛ لاختلافهم في أن ذلك الحديث هل هو نص أو ظاهر، وإذا كان ظاهرًا، فهل فيه ما ينفي الاحتمال المرجوح أم لا؟».

وهذا أيضًا باب واسع، فقد يقطع قوم من العلماء بدلالة أحاديث لا يقطع بها غيرهم، إما لعلمهم بأن الحديث لا يحتمل إلا ذلك المعنى، أو لعلمهم بأن المعنى الآخر يمنع حمل الحديث عليه، أو لغير ذلك من الأدلة الموجبة للقطع». [الفتاوى ٢٥٩/٢٠].

[النص: هو ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا وقد يسمَّى قطعي الدلالة، مثل قوله تعالى: «تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ» [البقرة:١٩٦]، والظاهر: هو ما احتمل معنيين فأكثر، وقد يسمى ظني الدلالة مثل قوله تعالى: « وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ» [البقرة:٢٢٨]، فالقرء عند العرب هو الحيض والطهر].

وقد قرر العلماء أن الفتوى تقدر زمانًا ومكانًا وشخصًا، ويضاف إلى ذلك معرفة مآلات الأفعال وآثار الفتوى عليها.

وتحقيق المناط ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تحقيق المناط الخاص: وهو أن يختلف حكمه عن العام بسبب طروء عوارض، تجعل حكمه يختلف عن حكم الأصل ويسمى بالاقتضاء التبعي ، ويكون الحكم فيه مقصورًا عليه بحسب هذه العوارض.

أي يتعلق بشخص معين لمعرفة ما يناسبه وما ينطبق عليه من أحكام الشرع، وإلى أي حد تناسبه وتنطبق عليه.

وهذا النوع من تحقيق المناط، يحتاج إلى نوع خاص من المجتهدين، عالم بالشرع، وبالنفوس وخفايا خصوصياتها، وماهر بالملابسات الاجتماعية وتاثيراتها.

يقول الشاطبي: «فصاحب هذا التحقيق الخاص هو الذي رُزق نورًا عرف به النفوس ومراميها، وتفاوت إدراكها، وقوة تحمّلها للتكاليف، وصبرها على حمل أعبائها... فهو يحمل على كل نفس من أحكام النصوص ما يليق بها، بناء على أن ذلك هو المقصود الشرعي في تلقي التكاليف». [انظر الموافقات ٩٧/٤].

- ومثال ذلك في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يراعي كل نفس بما يصلحها، فيسأله رجل: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف». وفي رواية: أي المسلمين خير؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده». [رواه مسلم].

قال النووي: قالوا: وإنما وقع اختلاف الجواب في خير المسلمين؛ لاختلاف حال السائل والحاضرين، فكان في أحد الموضعين الحاجة إلى إفشاء السلام وإطعام الطعام أكثر وأهم لما حصل من إهمالهما والتساهل في أمورهما، ونحو ذلك، وفي الموضع الآخر إلى الكف عن إيذاء المسلمين. [النووي على مسلم: ٢٠٧/١].

مثال آخر: بالنسبة لمباشرة الرجل لزوجته (مداعبتها دون الجماع) أثناء الصيام، فالنبي صلى الله عليه وسلم يرخص لكبير السن ولا يرخص للشاب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المباشرة للصائم، فرخص له، وأتاه آخر فسأله فنهاه، فإذا الذي رخص له شيخ، والذي نهاه شاب. [صحيح سنن أبي داود].

ويقول: ومن خصائص اجتهاده (أي هذا العالم) أنه ناظر في المآلات قبل الجواب عن السؤالات، وغيره يجيب عن السؤال، وهو لا يبالي بالمآل. [الموافقات ٢٣٢/٤].

ومما يفيد في هذا الباب ما استنبطه العلماء من حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد، ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم ثم أخطأ فله أجر».

فقد دلَّ الحديث على أن الحاكم (العالم) ينبغي أن يجتهد كلما حكم، ولا يغني اجتهاده مرة عن تجديد الاجتهاد في المسائل المشابهة؛ لأن لكل مسألة خصوصياتها مهما تشابهت مع غيرها.

قال القرطبي: ويفيد هذا صحة ما قاله

الأصوليون: أن المجتهد يجب عليه أن يجدد نظرًا عند وقوع النازلة، ولا يعتمد على اجتهاده المتقدم. [انظر الجامع لأحكام القرآن ١١/٣١٠، ٣١١].

القسم الثاني: تحقيق المناط العام:

مثال ذلك أن الله تعالى قال: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ» [سورة التوبة:٦٠] فتحقيق المناط هنا: هو تحقيق معنى الفقير الذي يستحق الزكاة.

وقوله تعالى: «وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ» [الطلاق:٢]، فيكون تحقيق المناط هنا: هو تحقيق معنى العدالة في الشهود.. وهكذا.

وبعد هذا الطرح السابق، هل يبقى لقول القائل: إن عمر رضي الله عنه أوقف نصًا، وعمل بالمصلحة التي عارضت النص، هل يبقى لقوله وجه؟

إن عمر رضي الله عنه - بحسب ما ذكرناه - رأى أن هناك شبهة تحول دون تحقيق مناط الدليل في عام الرمادة، وهذه الشبهة هي الجوع الذي قد يدفع بعض الجوعى (اضطرارًا) للسرقة من أجل طعامهم وطعام ذويهم.

وهي نفس الشبهة التي منعت عمر رضي الله عنه من قطع أيدي غلمان حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، فعمر رضي الله عنه اجتهد داخل النص، ولم يقدم المصلحة على النص، كما يدّعون.

- وهذا من جمال الشرع وتيسيره؛ فالإسلام يكفل حق كل فرد في الحصول على ضرورات الحياة، أن يأكل ويشرب ويلبس، ويكون له بيت يؤويه، وأن يوفّر له العمل ما دام قادرًا، فإذا تعطّل لعدم وجود العمل، أو لعجزه وعدم قدرته على العمل، فله الحق بأن تؤمِّن له الدولة الضروري من العيش.

فإذا سرق وهو مكفي الحاجة، فإنه لا يُعذر، ولا ينبغي لأحد أن يرأف به، وأما عندما توجد شبهة من ضرورة أو حاجة أو غيرها، فالمبدأ العام في الإسلام «حسب القاعدة الفقهية»: هو درء الحدود بالشبهات.

سد الذرائع وعلاقتها بالمقاصد

إن سد الذرائع من أكبر القواعد الفقهية، وهي وجه آخر من وجوه رعاية مقصود الشارع في حفظ المصالح ودرء المفاسد.

أولا: تعريف سد الذرائع:

الذرائع جمع ذريعة، وهي لغة: الوسيلة المؤدية إلى الشيء، وسدها: منعها، وحسم مادتها.

واصطلاحًا: الوسيلة الموصلة إلى الشيء الممنوع المشتمل على مفسدة، أو المشروع المشتمل على مصلحة، فهي لهذا الاعتبار متصلة بالكلام على أصل (المصالح).

وعرفها بعض الأصوليين: بأنها كل وسيلة مباحة قُصد التوصل بها إلى المفسدة، أو لم يُقصد التوصل إلى المفسدة، لكنها مفضية إليها غالبًا، ومفسدتها أرجح من مصلحتها.

أو تقول: هي التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة.

ثانيًا: أهميتها:

سد الذرائع من أكبر القواعد الفقهية في الشريعة، وهي أصل من الأصول العُمرية الواضحة، فقد عُرف عمر رضي الله عنه بسياسته الوقائية وإجراءاته الردعية.

إن هذه الشريعة العظيمة إذا أمرت بشيء فإنها تأمر بجميع ما يتوقف حصول هذا الشيء عليه، وإذا نهت عن شيء فإنها تنهى عن جميع الأشياء التي يتوقف حصول هذا المنهي عليها، وهذا من باب الكمال، فإن الشريعة إذا سدّت بابًا فإنها تسد معه جميع الأبواب المفضية إليه، وهذا هو عين الحكمة، وذلك ليكون سياجًا مانعًا من الوقوع في المحرم؛ لأنه كما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها، كانت هذه الأسباب والطرق تابعة لها في الحكم، فكل وسائل الحرام حرام، وكل وسائل الطاعات طاعات، فوسائل الواجب واجبة، ووسائل المندوب مندوبة، ووسائل المكروه مكروهة، ووسائل الحرام حرام.

وهذه سياسة حكيمة حتى في ملوك الدنيا، فإنهم إذا منعوا شيئًا منعوا جميع أسبابه، وسدوا جميع طرقه، وإذا أمروا بشيء فإنهم يسهّلون جميع أسبابه، ويفتحون كل طرقه؛ لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

لذا قال ابن القيم: وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهي، والأمر نوعان، أحدهما: مقصود لنفسه، والثاني: وسيلة إلى المقصود، والنهي نوعان؛ أحدهما: ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه، والثاني: ما يكون وسيلة إلى المفسدة، فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين. [إعلام الموقعين ٣/١٢٦].

فقاعدة سد الذرائع تقوم مباشرة على المقاصد والمصالح، فهي تقوم على أساس أن الشارع ما شرّع أحكامه إلا لتحقيق مقاصدها، من جلب المصالح ودرء المفاسد، فإذا أصبحت أحكامه تُستعمل ذريعة لغير ما شرعت له، ويتوسل بها إلى خلاف مقاصدها الحقيقية، فإن الشرع لا يقر إفساد أحكامه وتعطيل مقاصده، ولا يجوز لأهل الشريعة أن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذا التحريف للأحكام عن مقاصدها.

ثالثًا: حجية سد الذرائع:

اختلف الفقهاء في اعتبارها أصلاً ودليلاً من أدلة الأحكام على مذهبين:

١- الحنفية والشافعية والظاهرية: على أنها ليست دليلاً من أدلة الأحكام، والمباح عندهم باقٍ على إباحته بحكم الشرع، وإذا مُنع منه فإنما يُمنعُ منه

بدليل الشرع.

فكل ما عُلم أنه يستعمل لمعصية الله تعالى يمنع منه، بدليل قوله تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» [المائدة: ٢]، فجاء المنع بدليل الشرع من غير احتياج إلى قاعدة سد الذرائع.

٢- المالكية والحنابلة: هي دليل من أدلة الأحكام، وأكثر أهل العلم (جمهورهم) على حجيتها، وأدلة ذلك:

الدليل الأول: قوله تعالى: «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)» [الأنعام: ١٠٨].

ووجه الدلالة: أن الله تعالى حرَّم سبَّ الأصنام التي يعبدها المشركون - مع كون السبِّ حمية لله، وإهانة لأصنامهم-لكون ذلك السبِّ ذريعة إلى أن يسبوا الله تعالى، وكانت مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من مصلحة سبنا لأصنامهم، فلذلك أمرنا بترك سبِّ أصنامهم؛ لأنه يؤدي إلى سبِّ الله تعالى والعياذ بالله، وهذا هو سد الذرائع.

الدليل الثاني: حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة، فكسع (ضرب) رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوها فإنها منتنة». فسمعها عبد الله بن أُبي فقال: قد فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه». [متفق عليه، والسياق لمسلم].

يقول ابن الجوزي: «سياسة عظيمة وحزم وأمر؛ لأن الناس يرون الظاهر، والظاهر أن عبد الله بن أبي كان من المسلمين ومن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، فلو عُوقب من يبطن خلاف ما يُظهر لم يعلم الناس ذلك الباطن، فينفرون عمن يفعل هذا بأصحابه». [كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٣/٣٣].

ويقول النووي: «.. وفيه ترك بعض الأمور المختارة، والصبر على بعض المفاسد؛ خوفًا من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم منه..». [شرح النووي على مسلم ١٣٩/١٦].

فلم يرغب النبي صلى الله عليه وسلم في قتل المنافقين مع قيام الداعي لذلك، وذلك سدًا للذرائع، حيث إنه سيقال: إن محمدًا بدأ يقتل أصحابه، فيوجب ذلك النفور عن الإسلام لمن دخل فيه، ومن لم يدخل فيه، ومفسدة التنفير أعظم من مفسدة ترك قتلهم، ومصلحة التأليف أعظم.

الدليل الثالث: عن حكم الهدية: فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الهدية، وكان يقبلها، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تهادوا تحابوا». [أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وقال الحافظ في التلخيص: هذا إسناد حسن، وحسنه الألباني].

ومع ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم منع الهدية للعمال والموظفين، فعن أبي حُميد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد، يقال له: ابن الأتبية (وعند مسلم ابن اللتبية) على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي. قال: «فهلاً جلس في بيت أبيه أو بيت أمه، فينظر يُهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيرًا له رُغاء، أو بقرة لها خُوار، أو شاة تَيْعَر». ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة إبطيه، وقال: «اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت» ثلاثًا. [متفق عليه].

قال الخطَّابي: قلت: في هذا بيان أن هدايا العمال سُحت، وأنه ليس سبيلها سبيل سائر الهدايا المباحة.

ثم قال: وفي قوله: «هلا جلس في بيت أمه أو أبيه فينظر أيُهدَى إليه أم لا» دليل على أن كل أمر يتذرع به إلى محظور فهو محظور. [معالم السنن ٨/٣].

فالتهادي بين الناس، أقارب وأصدقاء وجيران، وغير ذلك، من الأعمال المشروعة والمرغَّب فيها؛ لما فيه من بث المودة والألفة والتعاون، ولكن قد تُستعمل الهدية ذريعة إلى أمر غير محمود، في حاله أو مآله، وفي هذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم العمال والموظفين عن قبول الهدايا، وذلك عملاً بقاعدة سد الذرائع، وتعليل النبوي واضح، فإن الهدايا لم تقدم لهذا الرجل لذاته، ولا لعلاقة خاصة بينه وبين أصحابه، ولا لأن ذلك جار وبينهم من قبل، وإنما أهدي له لأجل مهمته (منصبه)، وهذا باب من أبواب الفساد والانحراف والمحاباة، يبدأ خفيًا خفيفًا، ثم يستفحل ويستشري.

يقول ابن القيم: إنَّ الوالي، والقاضي، والشافع، ممنوعٌ من قبول الهدية، وهو أصل فساد العالم، وإسناد الأمر إلى غير أهله، وتولية الخونة والضعفاء والعاجزين، وقد دخل بذلك من الفساد ما لا يحصيه إلا الله، وما ذاك إلا لأن قبول الهدية ممن لم تجر عادته بمهاداته ذريعة إلى قضاء حاجته، وحبك الشيءَ يُعمي ويُصم، فيقوم عنده شهوة لقضاء حاجته مكافأة له مقرونة بشرِّه، وإغماض عن كونه لا يصلح. [إعلام الموقعين ١١٤/٣].

والحمد لله رب العالمين



امتحان الله تعالى للإسلاميين في الانتخابات

إعداد/ محمد صالح المنجد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده..

أما بعد، فقد اقتضت حكمة الله تعالى وسننه في خلقه: أن يُحدث كلَّ هذا التغيير في عالم المسلمين العربي في زمن قصير، وبكيفية مباغتة، وآثارٍ مدهشة، نتج عنها ارتفاع شأن الصف الإسلامي، وعلوّ صوته، وبروز شعبيته، مما أثمر عن تفوّق في نتائج الانتخابات التي دخلتها بعض الأحزاب والتجمعات الإسلامية.

ومعلوم أن هذه المسألة تحتاج إلى معرفة حكم الانتخابات، والتصويت، والبرلمانات، والمشاركة في الحكومات، وعقد التحالفات، وغير ذلك مما لا يتسع له المجال، ولا تبلغ القدرة لتبيينه الآن، ولكن أذكر هاهنا كلمات وتنبيهات؛ نصيحةً في الدين، وسعياً لإصلاح شأن إخواننا المسلمين، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

إن الله تعالى يمتحن الإسلاميين في مواقفهم، وتكتب ملائكته كلماتهم وتصريحاتهم قبل وأثناء وبعد الانتخابات التي دخلوها.

وقد تفاوتت أحوالهم في ذلك، فمنهم من قال قولا حسناً يُشكر عليه، ومنهم من زلت ألسنتهم وأقدامهم، ومن ذلك ما سمعناه من قول بعضهم هداهم الله: «لن نمنع الخمر.. لن نمنع الملاهي الليلية.. لن نمنع شواطئ التعري..» إلخ.

ونقول ردًا:

هذا سقوط في الفتنة، والسكوت خير من هذا والله.

ففرق عظيم بين أن تَسكت عن الشيء وتتحيّن الفرصة المناسبة لمعالجته، وبين أن تُعلن الباطل وتُصادم الشريعة لطمأنة مخالفيها واسترضاء الغرب والشرق.

وبعض هؤلاء يقول: نخشى أن تصيبنا دائرة، وإن نتبع الهدى معك نُتخطف من أرضنا، سينقلب الناس علينا، لن يتحمّل الشعب الأحكام الإسلامية!!

فنقول: لا تنسوا أن الناس اختاروكم لدينكم، ووثقوا بكم؛ لأنكم تطلبون تحقيق عدل الشرع في البلد، وحصلتم على الأغلبية و(الثقة الشعبية!) من أجل إقامة الدين الذي تدعون إليه، وتتميزون به.. فلا تهنوا ولا تضعفوا، وإن توليتم فعسى أن يأتي الله بقوم آخرين، أو يأتي بالفتح أو أمر من عنده، فيمكّن لعباده بلادًا آمنة حاكمة بشرعه، وقيادة راشدة تسوسهم بنوره وهداه.

وفيما يلي ذكر لبعض الطرق الشرعية في معالجة الأوضاع والتي تُفيد - إن شاء الله- من وصل إلى الحكم أو شيء منه، ويريد نصرة الدين:

أولا: البدء ببناء قواعد الإيمان في نفوس الشعب، وذلك اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم المؤيد في طريقته في الدعوة والسياسة والحكم بالوحي من ربه، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «إنما نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةٌ مِنْ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلامِ، نَزَلَ الْحَلالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ، لَقَالُوا: لا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لا تَزْنُوا لَقَالُوا لا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا» [البخاري (٤٩٩٣)].

قال الحافظ -رحمه الله- في بيان أوليات الدعوة: «الدُّعَاء إِلَى التَّوْحِيد، وَالتَّبْشِير لِلْمُؤْمِنِ وَالْمُطِيع بِالْجَنَّةِ، وَلِلْكَافِرِ وَالْعَاصِي بِالنَّارِ، فَلَمَّا اطْمَأَنَّتْ النُّفُوس عَلَى ذَلِكَ أُنْزِلَتْ الأَحْكَام، وَلِهَذَا قَالَتْ: «وَلَوْ نَزَلَ أَوَّل شَيْء لا تَشْرَبُوا الْخَمْر، لَقَالُوا لا نَدَعهَا»، وَذَلِكَ لِمَا طُبِعَتْ عَلَيْهِ النُّفُوس مِنْ النَّفْرَة عَنْ تَرْك الْمَأْلُوف».

وتهيئة البيئة الشعبية للعمل بأحكام الشريعة يستلزم خطوات كثيرة وأعمالاً مضنية هي في الحقيقة لبّ العمل الذي يجب أن يكون أول ما يشتغل به الإسلاميون إذا وصلوا إلى الحكم من البيان والتعليم والدعوة، بل هو قاعدة المكسب الحقيقي من بلوغهم؛ وذلك للوصول إلى تحكيم الشرع مجتمعيًا في النهاية.

ثانيًا: إصلاح دنيا الناس طريق لإصلاح دينهم:

فينبغي لمن تولى أمر المسلمين في بلد أن يسعى في إصلاح وتوفير ما يحتاجه الناس في دنياهم ومعاشهم؛ ليطمئنوا ويتفرغوا لإصلاح دينهم.

وفي الدعاء النبوي: «أصلح لنا ديننا الذي هو

عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا».

ومن الأمور المهمة في إصلاح دنيا الناس:

× توفير الوظائف، ومحاربة البطالة.

× الحد من التضخم وغلاء الأسعار.

× تعيين الأكفاء في المناصب.

× محاربة الرشوة والمحسوبيات.

× استرداد العقول المهاجرة.

× النظر في المظالم وإنصاف المظلومين.

× فتح سبل العمل الاجتماعي الخيري.

× توفير الإعانات، وحل أزمة السكن.

× توفير القروض الخيرية، ومعالجة أزمة الديون.

× إصلاح القطاعات المختلفة خاصة: التعليم، والصحة، والبلديات.

× إصلاح القضاء، وتحقيق العدل.

× توفير الخدمات العامة: الكهرباء، الماء، الاتصالات، المواصلات.. وغيرها.

ثالثًا: الاستفادة من التدرج في التشريع:

فمعلوم أن تحريم الخمر مرّ بمراحل من: تمييزها عن الرزق الحسن، ثم بيان أن إثمها أكبر من نفعها، ثم تحريم صلاة السكران، ثم التحريم الشامل القاطع.

وكذلك تحريم الربا، فبدأ بذكر أنه لا يربو عند الله بخلاف الصدقة، ثم تحريم أكله أضعافًا مضاعفة، ثم تحريمه الشامل القاطع قليله وكثيره.

ومن المعلوم أن التشريع قد استقر، والأحكام قد تقررت وانتهت، وأنه لا يجوز بأي حال من الأحوال تطبيق التدرج المذكور في التحريم، فكيف سنستفيد منه إذن؟

الجواب في أمور:

× التدرج في محاربة المنكر.

× مراعاة الأولويات.

× التأجيل عند العجز إلى حين التمكن والقدرة.

هذا مع التسليم التام بالحكم الذي استقر عليه التشريع وعدم إعلان خلافه.

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنه يجوز السكوت عن أمر بمعروف أو نهي عن منكر إذا كان ذلك يؤدي إلى فوات معروف أعظم، أو حصول مفسدة أعظم، وأنّ هذا السكوت أو التأجيل ليس تحليلاً لحرام أو إلغاء للحكم الشرعي، وإنما سبب هذا السكوت أو التأجيل «أَنْ يَكُونَ فِي نَهْيِهِ عَنْ بَعْضِ الْمُنْكَرَاتِ تَرْكًا لِمَعْرُوفٍ هُوَ أَعْظَمُ مَنْفَعَةً مِنْ تَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ، فَيَسْكُتُ عَنْ النَّهْيِ خَوْفًا أَنْ يَسْتَلْزِمَ تَرْكَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ مِمَّا هُوَ عِنْدَهُ أَعْظَمُ مِنْ مُجَرَّدِ تَرْكِ ذَلِكَ الْمُنْكَرِ. فَالْعَالِمُ تَارَةً يَأْمُرُ وَتَارَةً يَنْهَى، وَتَارَةً يُبِيحُ، وَتَارَةً يَسْكُتُ عَنْ الْأَمْرِ أَوْ النَّهْيِ أَوْ الْإِبَاحَةِ، كَالْأَمْرِ بِالصَّلَاحِ الْخَالِصِ أَوْ الرَّاجِحِ، أَوْ النَّهْيِ عَنْ الْفَسَادِ الْخَالِصِ أَوْ الرَّاجِحِ، وَعِنْدَ التَّعَارُضِ يُرَجِّحُ الرَّاجِحَ - كَمَا تَقَدَّمَ - بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ».

وقد يكون السكوت والتأجيل انتظارًا للتمكن من تطبيق الحكم والعمل به، قال رحمه الله: «فَرُبَّمَا كَانَ الْأَصْلَحُ الْكَفَّ وَالْإِمْسَاكَ عَنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، كَمَا قِيلَ: إنَّ مِنْ الْمَسَائِلِ مَسَائِلَ جَوَابُهَا السُّكُوتُ كَمَا سَكَتَ الشَّارِعُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ عَنْ الْأَمْرِ بِأَشْيَاءَ وَالنَّهْيِ عَنْ أَشْيَاءَ، حَتَّى عَلَا الْإِسْلَامُ وَظَهَرَ. فَالْعَالِمُ فِي الْبَيَانِ وَالْبَلَاغِ كَذَلِكَ؛ قَدْ يُؤَخِّرُ الْبَيَانَ وَالْبَلَاغَ لِأَشْيَاءَ إلَى وَقْتِ التَّمَكُّنِ كَمَا أَخَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إنْزَالَ آيَاتٍ وَبَيَانَ أَحْكَامٍ إلَى وَقْتِ تَمَكُّنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا إلَى بَيَانِهَا» [مجموع الفتاوى ٢٠/٥٧-٦١].



وآخر كلامه رحمه الله يبين تمامًا كيفية الاستفادة الصحيحة من التدرج في التشريع.

رابعًا: الاستفادة من سير الخلفاء الراشدين وأئمة العدل والإصلاح:

ومن أعظم التركات والإرث التاريخي في وصول إمام عادل إلى بيئة طرأت عليها انحرافات: خلافة الخليفة عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- والسياسة الشرعية التي سار عليها.

فعن خارجة بن عبيد الله العمري قال: قدم عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه وهو ابن تسع عشرة سنة، وأبوه يروض الناس على الكتاب والسنة، وقد قطع،بذلك فهو يداريهم كيف يصنع معهم؟

فقال له عبد الملك حين قدم عليه: يا أمير المؤمنين ألا تُمضي كتاب الله وسنة نبيه، ثم والله ما أبالي أن تغلي بي وبك القدور؟

فقال له: يا بنيّ إني إنما أروّض الناس رياضة الصعب -أي الجمل الفحل العنيد- إني أريدُ أن أخرج الباب من السُّنّة (أي أحملهم على شيء من الدين) فاضع الباب من الطمع (أي أقرنه بشيء من الدنيا ترغيبًا لهم)، فإن نفروا للسنّة سكنوا للطمع، ولو عُمِّرت خمسين سنة لظننت أني لا أبلغ فيهم كل الذي أريد، فإن أعش أبلغ حاجتي، وإن مت فالله أعلم بنيتي. انتهى

ومع دقة الأمر وصعوبته وحساسيته، لكن من صدق مع الله، وأحسن النية، واتبع الكتاب والسنة، وسياسة الخلفاء الراشدين المهديين، فسييسّر الله له الأمر، وإنها والله مسئولية في الآخرة ومستقبل أمة في الدنيا لا يُعين عليها إلا الله.

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «إني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه دينًا لا يرون الحق غيره».

اللهم اهدنا فيمن هديت، ووفق من أراد نصرة دينك وتحكيم شرعك وأعِنه وانصره يا رب العالمين.

مع الدعاة

رعاية الأولويات في مسيرة الدعاة

إعداد/ د. محمد يسري إبراهيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من قواعد السياسة الشرعية في مسيرة الدعوة والدعاة: رعاية الأولويات، وتقديم الضروريات على الحاجيَّات والتحسينيَّات، وهذه القاعدة الفقهية العلمية في ترتيب الوظائف الشرعية، وبيان التفاوت بين رُتَب المأمورات والمنهيات مستدل عليها بالقرآن الكريم وسنة النبي العظيم صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ»[البقرة:٧١٢].

ولقد علَّمَ النبي صلى الله عليه وسلم رتب الأعمال والوظائف الشرعية والدعوية، وما حقه التقديم منهجًا حين أرسل معاذًا إلى اليمن معلمًا وداعيًا؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله سبحانه وتعالى، فإذا ما عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات، في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاةً في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد إلى فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس» [متفق عليه: أخرجه البخاري (٨٥٤١) ومسلم (١٩)].

وهذا يكشف عن أن إدراك الأولويات له معيار شرعي، وأن ميزان الترجيح بينهما نقلي؛ إذ هو المصدر المعصوم، والصدور عنه فرض محتوم، ثم ما استند إليه من إجماع موثق، أو قياس محقق.

ثم تأتي في الدرجة الثانية المقاصد الشرعية والمصالح المرعية، ومصادر التشريع الثانوية، كسد الذرائع وفتحها،.... وغيرها.

وأخيرًا تأتي المشتركات العامة من تجارب الدعاة من لدن أنبياء الله الذين قال عنهم الله: «فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ» [الأنعام: ٠٩].

وباستقراء منهج الأنبياء وطريق الدعاة الأصفياء تظهر معالم في فقه الأولويات في مسيرة الدعاة أفرادًا وجماعات، ومن تلك المعالم المهمة والأصول المرعية ما يلي:

١- إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد:

فأول المأمورات وأَوْلَى الواجبات في مسيرة الدعوات هي العناية بتوحيد رب الأرض والسماوات علمًا وعملاً وقولاً وحالاً وفعلاً، قال تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» [محمد: ٩١].

فتقديم الدعوة إلى التوحيد قبل كل دعوة، وتقديم النهي عن الشرك قبل كل نهي؛ قال تعالى: «إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ

حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ» [المائدة: ٢٧].

٢. الرد إلى الأمر الأول:

والأمر الأول قال عنه صاحبه صلى الله عليه وسلم: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي» [الترمذي وصححه الحاكم (٨١٢/١)]، فلزوم سبيل الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان هو عين منهج النجاة وأس سبيل الفلاح والنجاح؛ وذلك أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها [اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٤٩٣)] وما لم يكن يومئذ دينًا فلن يكون اليوم دينًا [من أقوال الإمام مالك رحمه الله . الإحكام لابن حزم (٥٢٢/٦)].

٣- التدرج في الإصلاح:

التدرج والمرحلية سنة كونية في الخلق، كما هي سنة تشريعية في الأمر والنهي، كما هي سنة اجتماعية في التغيير وإصلاح المجتمعات.

ولا شك أن بالساحة الدعوية اليوم ضرورات تلجئ إلى مرحلية، وبالمجتمعات مخالفات مستحكمة وأهواء متمكنة تقتضي في التصدي لها فقهًا يقدم ويؤخر، ويتأنى ويتدرج، ويصلح وينجح، وقد قال مجدد القرن الأول بلا مدافع عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- وهو خليفة مُمَكن على رأس القرن الأول من التابعين: «وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدعوه جملة، ويكون من ذا فتنة» [الموافقات للشاطبي، (٨٤١/٢)].

ولهذا فإن التدرج والتأني من شأنه أن يحفظ مكتسبات الدعوات، ويكثر على مر السنين المنجزات، وبإهمال هذه الأولوية وقعت دعوات في مأزق علمية فمرت بها السنون، فلا هدف تحقق، ولا واقع تغير، وربما دبَّ الفتور، وتسلل اليأس والملل.

٤- الانتماء إلى الإسلام والسنة قبل الانتماء إلى طوائف الدعوة:

قال تعالى: «هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ» [الحج: ٧٨]، وقال سبحانه: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» [الحجرات: ١٠]، فالانتماء إلى الإسلام والسنة أولاً وقبل كل شيء والانتساب إليهما قبل كل نسبة وفوق كل راية؛ وذلك أنه انتماء غاية، والانتماء إلى طوائف الدعاة وجماعات المصلحين إنما هو انتماء وسيلة، والمقصد والغاية يقدمان على الوسيلة، و«أهل السنة ليس لهم لقب يُعْرَفون به، لا جهمي ولا قدري ولا رافضي». [الموافقات، للشاطبي، (٨٤١/٢)].

ولا يمنع هذا من حسن إدارة وتنظيم للمسائل الدعوية والأعمال الشرعية، والكيف المنظم ولو كان قليلاً ينفع الله به ما لا ينفع بالكم المبعثر، وإنما المحذور عقد الولاء والبراء على غير الأسماء الشرعية، أو التعصب المقيت للرايات الحزبية!

- التأصيل مع التجديد، والأصالة مع المعاصرة:

العودة إلى الأصلين المعصومين قرآنًا وسنة هو منطلق كل دعوة صحيحة، والصدور عن عقيدة السلف الصالح هو منطلق كل منهجية سديدة، ومواجهة الانحرافات المعاصرة بتلك المنطلقات الثابتة أولوية مقدمة، فلا فرق بين انحراف بدائي وآخر حضاري، وكما تُنكر منكرات القبور تُنكر منكرات القصور، وتواجه تيارات الإلحاد والعلمنة، وتقاوم نزعات التغريب والعولمة..

وكما يعتنى بالتجديد في وسائل الدعوة يتأكد الانضباط بضوابط المشروعية؛ وذلك أن التجديد في الوسائل لا يعني انفصالاً عن التأصيل ولا تحررًا من الثوابت، ولا عبثًا بالأصول والمبادئ، وإنما يقبل من الوسائل كل مفيد ولو كان جديدًا، ولا يُستوحش من كل غريب إذا كان نافعًا؛ إذ ليست وسائل الدعوة توقيفية بإطلاق، ولا مطلقة من كل قيد، «وليس من اللازم أن ينص الشرع على كل وسيلة بعينها فيقول: هذه جائزة، وهذه غير جائزة؛ لأن الوسائل لا حصر لها، ولا حدَّ لها، فكل ما كان وسيلة لخير فهو خير». [لقاءات الباب المفتوح للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (٩٤٤/١)].

والله وحده الموفق لكل خير، والحمد لله رب العالمين.

شبهات حول الصحابة

إعداد/ أسـامـة سليمـان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

ففي هذا المقال نتحدث عن أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا وقعة الجمل، ونذكر فضائله ومناقبه وحسناته ليعرف المخالف قدره فيكفَ اللسان عن الخوض فيه ويلزم غرزه، إنه طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي المكي، لقَّبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بألقاب عديدة منها:

١- صقر يوم أحد.
٢- طلحة الخير.
٣- طلحة الفياض.
٤- طلحة الجود.

وهو رضي الله عنه من السابقين الأولين الذين أُوذوا في سبيل دين رب العالمين في مكة، وأحد العشرة الذين بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وهاجر إلى المدينة المباركة، بيد أنه غاب عن غزوة بدر في تجارة له بالشام، وتألم لذلك كثيرًا، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم من غنائم بدر، ولما كان يوم أحد وولى الناس، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية ومعه اثنا عشر رجلاً من أصحابه منهم طلحة بن عبيد الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهم حين أدركهم المشركون: من للقوم؟ فقال طلحة: أنا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: كما أنت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من للقوم. فقال رجل: أنا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت، فقاتل حتى قتل، ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا بالمشركين، فقال: من للقوم؟ قال طلحة: أنا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أنت، فقال رجل من الأنصار: أنا، فقاتل حتى قُتل، فلم يزل الأمر هكذا إلى أن بقي طلحة وحده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من للقوم. قال طلحة: أنا، فقاتل قتال الأحد عشر، وقتل عشرة، حتى قطعت أصابعه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون». [السلسلة الصحيحة: ٢١٧١].

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لقد رأيتني يوم أحد وما قُربي أحد غير جبريل عن يميني وطلحة عن يساري، ولقد جُرح يوم أُحد أربعة وعشرين جرحًا، وقع منها في رأسه شجةً مربعة، وقطع عرقه وشلت أصابعه، وكان سائر الجراح في جسده، وغلبه الغشي ورسول الله صلى الله عليه وسلم مكسورة رباعيته، مشجوج في وجهه، قد علاه الغشي وطلحة يحمل النبي صلى الله عليه وسلم يرجع به إلى الوراء، كلما أدركه أحد من المشركين، قاتل دونه حتى أسند النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشعب». [سير أعلام النبلاء ٣٢/١].

وفيه قال صلى الله عليه وسلم: «من سرَّه أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض قد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة». [رواه الترمذي: ٣٧٤٢].

وقال أيضًا: «طلحة والزبير جاراي في الجنة».

ولما جاء أعرابي يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قضى نحبه من هو؟ فأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى طلحة، وقال: هذا ممن قضى نحبه. [رواه الترمذي: ٣٧٤٢].

وعرف عنه رضي الله عنه إنفاقه لماله في سبيل الله، فعن قبيصة بن جابر قال: صحبت طلحة، فما رأيت أعطى لجزيل مال عن غير مسألة منه. [سير أعلام النبلاء: ٧/١].

وعن موسى عن أبيه طلحة أنه أتاه مال من حضرموت سبعمائة ألف، فبات ليلته يتململ، فقالت له زوجته: ما لك؟ قال: تفكرت منذ الليلة، فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟

ولطلحة رضي الله عنه أقوال تُعد من الفرائد والدرر، منها قوله: «إن أقل عيب لرجل جلوسه في بيته». [المستدرك: ٣٧٤/٣].

وقوله: «الكسوة تظهر النعمة، والإحسان إلى الخادم يكبت الأعداء، وكان رحمه الله لا يشاور بخيلاً في صلة ولا جبانًا في حرب». [فرسان عصر النبوة ص٢٣٧].

٣- وفي يوم الجمل اجتمع بعلي رضي الله عنه ووعظه، ثم تأخر ووقف في بعض الصفوف، فجاء سهم غرب فوقع على ركبته ومات بسببه، ولما رآه علي رضي الله عنه بين الأموات جعل يمسح التراب من علي وجهه، ثم قال: عزيز عليّ أبا محمد أن أراك مجندلاً في الأودية، ثم قال: إلى الله أشكوى عُجَري وبُجَري، أي: سرائري وأحزاني. [البداية والنهاية ٦/٢٥٨].

وترحم علي رضي الله عنه على طلحة رضي الله عنه وقال: ليتني مت قبل هذا بعشرين سنة. [تاريخ الإسلام للذهبي].

ولقد حفظ الله جسد طلحة بعد موته، فقد فُتح قبره بعد أكثر من ثلاثين عامًا، ونقلوه إلى مكان آخر فلم يتغير منه إلا شعيرات في أحد شقي لحيته، ولما وقع رجل عند سعد بن أبي وقاص في طلحة والزبير وعثمان وعلي رضي الله عنهم جعل سعد ينهاه ويقول له: لا تقع في إخواني، فأبى فقام سعد وصلى ركعتين ثم قال: اللهم إن كان سخطًا لك فيما يقول، فأرني فيه آية، واجعله عبرة، فخرج الرجل فإذا ببختي (جمل) يسقي الناس، فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته أي صدره، والبلاط فسحقه حتى قتله، قال سعيد بن المسيب: رأيت الناس يتبعون سعدًا ويقولون: هنيئًا لك أبا إسحاق! أجيبت دعوتك. [البداية والنهاية ٧/٢٥٩].

وفي يوم الجمل حاول طلحة أن يخمد نار الفتنة، فقام على دابته وقال للناس: أنصتوا، فجعلوا يركبونه ولا ينصتون، فقال: أف! فراش النار وذباب طمع، وكان يقول: إنا داهنا في أمر عثمان فلا نجد اليوم أمثل من أن نبذل دماءنا فيه، اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى. [سير أعلام النبلاء ١/٣٥].

وما يرويه البعض من أن مروان بن الحكم هو قاتل طلحة رضي الله عنه ففي بطلانه يقول الحافظ ابن كثير: «أشارت كثير من الروايات إلى أن قاتل طلحة هو مروان بن الحكم، ولكن بعد دراسة تلك الروايات اتضح براءة مروان بن الحكم من تلك التهمة، والأقرب عندنا أن قاتله ليس مروان بن الحكم».

وقال ابن العربي: قالوا: إن مروان بن الحكم قتل طلحة بن عبيد الله، ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب ولم ينقله ثبت.

وقال محب الدين الخطيب: وخبر قتل مروان بن الحكم لطلحة خبر لقيط لا يعرف أبوه ولا صاحبه.

فضلاً عن بطلان السبب الذي قيل: إن مروان قتل طلحة من أجله وهو قولهم: إن مروان اتهم طلحة بأنه أعان على قتل عثمان رضي الله عنه، وهذا غير صحيح؛ حيث لم يثبت أن أحدًا من الصحابة قد أعان على قتل عثمان.

وكذا فقد ثبت أن مروان وطلحة كانا في صف واحد يوم الجمل، وهو صف المنادين بالإصلاح، وكذلك فإن معاوية رضي الله عنه قد ولى مروان على المدينة ومكة، فلو صح ما بدر من مروان لما ولاه معاوية على رقاب المسلمين.

وأخيرًا: فإن نداء أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد أن وضعت الحرب أوزارها، نادى منادي علي: لا تجهزوا على جريح، ولا تتبعوا مدبرًا، ولا تدخلوا دارًا، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وكراع، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونادى منادي علي أيضا فيمن حاربوه من أهل البصرة: من وجد شيئًا من متاعه عند أحد من جنده فله أن يأخذه، وظن بعض الناس في جيش علي أن عليًا سيقتسم بينهم السبي فتكلموا به ونشروه بين الناس، بيد أن عليًا رضي الله عنه أعلن فيهم بندائه: ليس لكم أم ولد والمواريث على فرائض الله، وأي امرأة قتل زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشرًا، فقالوا مستنكرين: يا أمير المؤمنين، تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟ فقال علي رضي الله عنه: كذلك السيرة في أهل القبلة، ثم قال: هاتوا سهامكم واقرعوها على عائشة، فهي رأس الأمر وقائدهم، ففرقوا، وقالوا: نستغفر الله، وتبين لهم أن قولهم وظنهم خطأ فاحش، وفي ختام المعركة تفقد علي رضي الله عنه القتلى وترحم عليهم، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: «والله إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله تعالى فيهم: « وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾» [الحجر:٤٧]».

وختامًا أقول: إن من مناقب طلحة رضي الله عنه أنه تزوج أربع نسوة، كل واحدة منهن أخت لزوجة من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وهن: أم كلثوم بنت أبي بكر، أخت عائشة، وحمنة بنت جحش، أخت زينب بنت جحش، والفارعة بنت أبي سفيان أخت أم حبيبة، ورقية بنت أبي أمية، أخت أم سلمة، وقد ترك طلحة تسعة أولاد ذكور وبنتًا واحدة، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من ثلاثين حديثًا، فهل يجوز لأحد بعد كل هذه المناقب أن يقع فيه أو أن يطعن في نيته، فضلاً عن سبه ولعنه، لكنه الرفض الذي يورث عمى البصيرة وسوء الخُلق والأدب مع من رضي الله عنهم ورضوا عنه.

والله من وراء القصد.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

نظام الحكم في الإسلام أساسه العدل

قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨)» [النساء:٥٨].

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه، قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطيتها عن مسألة وُكلت إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها، وإذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيرًا منها فكفر عن يمينك، وأْت الذي هو خير»

[متفق عليه].

من أقوال السلف

عن أبي العالية قال: (تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتم الإسلام فتعلموا القرآن، فإذا تعلمتم القرآن فتعلموا السنة، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وإياكم وهذه الأهواء المتفرقة، فإنها تُورث بينكم العداوة والبغضاء، وعليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفعلوا الذي فعلوا). [ذم الكلام الهروي].

حكم ومواعظ

عن سفيان قال: قال عثمان رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام الله عز وجل».وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: ما أعطي إنسان شيئًا خيرًا من صحة وعفة وأمانة وفقه» [صفة الصفوة].

من أخلاق السلف الصالح

السلف كانوا لا يتقاتلون على دنيا!

عن سعيد بن جبير، قال: خرج علينا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فرجونا أن يحدثنا حديثًا حسنًا، قال: فبادرنا إليه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، حدثنا عن القتال في الفتنة، والله يقول: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)» [الأنفال:٣٩] فقال: هل تدري ما الفتنة، ثكلتك أمك؟ «إنما كان محمد صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك» [صحيح البخاري].

إعداد: علاء خضر

من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم

إخباره أن المسلمين يُفتنون باتباع الغرب

عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لتتبعن سَنَن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه»، قلنا: يا رسول الله! اليهود، والنصارى؟ قال: «فمن؟» [متفق عليه].

من حكمة الشعر

قال امرؤ القيس في التصدر في الفتن:

الحرب أول ما تكون فتية
تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشبَّ ضرامها
ولت عجوزًا غير ذات حليل

من فضائل الصحابة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أهل الدرجات العلى يراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما». [أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني]

من الطب النبوي

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري». [متفق عليه].

القسط البحري هو: العود الهندي وهو الأبيض منه، فيه منافع عديدة.

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قَالَ: لاَ أَقُولُ لَكُمْ إِلاَّ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ، كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا»..

[صحيح مسلم ٧٠٨١]



ادفع بالتي هي أحسن

إعداد / أيمن دياب

الْحَمْدُ للَّه ذي الطَّوْل وَالآلاء، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد خَاتَم الرُّسُل وَالأَنْبِيَاء، وَعَلَى آله وَأَصْحَابه الأَتْقِيَاء.

أَمَّا بَعْدُ:

فيا أيها القارئ الكريم اعلم أَنَّ شَرَفَ الْمَطْلُوب بشَرَف نَتَائجه، وعظم خَطَره بكَثْرَة مَنَافعه، وَبحَسَب مَنَافعه تَجبُ الْعنَايَةُ به، وَعَلَى قَدْر الْعنَايَة به يَكُونُ اجْتنَاءُ ثَمَرَته، وَأَعْظَمُ الأُمُور خَطَرًا وَقَدْرًا وَأَعَمُّهَا نَفْعًا وَرفْدًا مَا اسْتَقَامَ به الدِّينُ وَالدُّنْيَا، وَانْتَظَمَ به صَلاحُ الآخرَة وَالأُولَى؛ لأَنَّ باسْتقَامَة الدِّين تَصحُّ الْعبَادَة، وَبصَلاح الدُّنْيَا تَتمُّ السَّعَادَة. وَحُسْنُ الْخُلُق يَحْتَاجُ إلَى مَعْرفَته أَوْ مَعْرفَة كَثير منْهُ كُلُّ عَالم وَعَابد وَكُلُّ مُسْلم وَمُسْلمَة، لأَنَّهُ أُسُّ الْفَضَائل وَيَنْبُوعُ الآدَاب. [انظر: الآداب الشرعية (١/١)، وأدب الدنيا والدين (١/١) للمَاوَرْديِّ. بتصرف].

معنى الخلق:

الخلق بضم اللام وسكونها الطبع والسَّجيَّةُ، والخلق صورة الإنسان الباطنة، أي أنه صفة نفسية داخلية، وأما المظهر الخارجي لهذه الصفة النفسية فيسمى سلوكاً أو معاملة. [انظر: فضل حسن الخلق للعايد (ص٥)].

قَالَ الإمَام النَّوَوِيّ- رَحمَهُ اللَّهُ-: قَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ: حَقيقَة حُسْن الْخُلُق: بَذْل الْمَعْرُوف، وَكَفّ الأَذَى، وَطَلاقَة الْوَجْه. وَقَالَ الْقَاضي عيَاض: هُوَ مُخَالَطَة النَّاس بالْجَميل وَالْبشْر، وَالتَّوَدُّد لَهُمْ، وَالإشْفَاق عَلَيْهمْ، وَاحْتمَالهمْ، وَالْحلْم عَنْهُمْ، وَالصَّبْر عَلَيْهمْ في الْمَكَاره، وَتَرْك الْكبْر وَالاسْتطَالَة عَلَيْهمْ. وَمُجَانَبَة الْغلَظ وَالْغَضَب، وَالْمُؤَاخَذَة. [شرح النووي (١٥/ ٧٨)]. والْخُلُق عند ابن حجر -رحمه الله- هو: اخْتيَار الْفَضَائل، وَتَرْك الرَّذَائل. [القاموس الفقهي (ص: ٩٠)].

أنواع الأخلاق: تنقسم إلى قسمين:

الأول: أخلاق محمودة: وهي التي اتصف بها عباد الله الصالحون، وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مثل الصدق والأمانة، والحياء والحلم والتواضع، وغيرها.

والثاني: أخلاق مذمومة: من مثل الكذب والخيانة، وسرعة الغضب، والتكبر وغيرها.

والذي يعنينا بالكلام هنا الأخلاق المحمودة.

أبواب حسن الخلق:

إن حسن الخلق لا يكون فقط مع الناس، بل يكون مع الله سبحانه وتعالى في الدرجة الأولى، وحسن الخلق مع الله يكون بتصديق أخباره عز وجل فيما أخبر به، أو أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنصدقه ولو لم تفهمه عقولنا، ويكون حسن الخلق مع الله أيضاً بتطبيق أحكامه، والصبر على ما قضى وقدَّر.

والحال الآخر لحسن الخلق هو حسن الخلق مع الناس، وهو محل كلامنا في هذا الموضوع. [انظر: مكارم الأخلاق للعثيمين (ص١٣ بتصرف)].

فضل حسن الخلق:

إن من الأبواب العظيمة التي تنافس فيها المتنافسون، وتسابق في ميدانها الرحب المتسابقون- حُسْنُ الْخُلُق- ذلك الباب العظيم الذي امتاز به ذوو العلى على أصحاب الخساسة والدنى، ارتفع بها أقوام وسفل بها آخرون، سبيل مرضاة رب العالمين والزلفى لديه يوم الدين والقرب من خليله في جنات النعيم، وردت النصوص المتكاثرة في بيان فضله ومنزلته والحث عليه، وبيان وجوهه والتحذير من ضده فيما يلي:

(١) إن الله عز وجل أثنى على نبيه صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق فقال سبحانه وتعالى: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» [القلم/٤]. وَكَانَ صلى الله عليه وسلم خُلُقُهُ الْقُرْآن، وَمَنْ تَخَلَّقَ بأَوَامر الْقُرْآن أَوْ نَوَاهيه كَانَ أَحْسَنَ النَّاس خُلُقًا، عَنْ زُرَارَةَ بْن أَوْفَى قَالَ: أَخْبَرَنَا سَعْدُ بْنُ هشَام بْن عَامر -وَكَانَ جَارًا لَهُ- أَنَّهُ قَالَ لعَائشَةَ -رضى

الله عنها-: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم. قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى قَالَتْ: «خُلُقُ نَبِيِّ الله صلى الله عليه وسلم كَانَ الْقُرْآنَ» [رواه مسلم ح (١٧٧٣)]. أَيْ كَانَ خُلُقُه جَمِيعَ مَا فُصِّلَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ مُتَحَلِّيًا بِه.

(٢) أمر سبحانه وتعالى بحسن الخلق فقال عز وجل: «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ» [المؤمنون/٩٦]، وأمر به نبيه صلى الله عليه وسلم أمته.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» [صحيح الجامع ح (٩٧)]. وفي رواية: «استقمْ، وليَحْسُنْ خلقك للناس» [صحيح الجامع ح (٩٥١)]. (٣) حُسْنُ الْخُلُقِ صِفَةُ أَنْبِيَاءِ الله تَعَالَى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ»، وفي رواية: «صَالِحَ الأَخْلاقِ». [الصحيحة (٧٥/١) ح (٤٥)].

قال الشيخ عطية سالم رحمه الله: «إن مكارم الأخلاق قدر مشترك بين النبوات وبين جميع الرسالات، ويؤيد هذا الحديث المذكور آنفا. هناك مكارم أخلاق في الرسالات الأولى، وهناك مكارم أخلاق جاء بها الأنبياء المتقدمون، والرسول صلى الله عليه وسلم إنما جاء يتمم ما جاء به من قبله». [شرح الأربعين النووية (٤٦/ ٣)].

(٤) كان صلى الله عليه وسلم يدعو ربه بأن يهديه لأحسن الأخلاق، ويصرف عنه سيئها، ويستعيذ بالله من منكرات الأخلاق، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاةِ قَالَ: «... اللَّهُمَّ اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ...» [رواه مسلم ح (٧٧١)].

(٥) إن الله سبحانه وتعالى يُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا، عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا». [صحيح الجامع ح (١٨٠١)].

(٦) إِنَّ مَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ فِي الدُّنْيَا كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَى الله تَعَالَى، عَنْ أُسَامَةَ بن شريك رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ مَا يَتَكَلَّمُ مِنَّا مُتَكَلِّمٌ، إِذْ جَاءَهُ أُنَاسٌ، فقالوا: «مَنْ أَحَبُّ عباد الله إلى الله؟»، قَالَ: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»

(٧) إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُحِبُّ من حَسُنَ خُلُقُهُ، وَيُبْغِضُ مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ، عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الآخِرَةِ مَجَالِسَ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الآخِرَةِ مَسَاوِئُكُمْ أَخْلاقًا الثَّرْثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ». [صحيح الجامع ح (١٥٣٥)].

(٨) مَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ كَانَ فِي الْقِيَامَةِ مِمَّنْ قَرُبَ مَجْلِسُهُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ فِي مَجْلِسٍ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» ثَلاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُهَا، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَحْسَنُكُمْ أَخْلاقًا». [الصحيحة (٤٣٤/٢) ح (٧٩١)].

(٩) إِنَّ مِنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ التَّقْوَى وَحُسْنَ الْخُلُقِ، قال تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» [آل عمران/١٣٣، ١٣٤]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «التَّقْوَى وَحُسْنُ الْخُلُقِ». وَسُئِلَ: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟ قَالَ: «الأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ» [الصحيحة (٧٠٦/٢) ح (٩٧٧)].

(١٠) حُسْنُ الْخُلُقِ يُحَرِّمُ صَاحِبَهُ على النَّارِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ كَانَ سَهْلا لَيِّنًا قَرِيبًا، حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» [صحيح الجامع ح (٦٣٦٠)].

(١١) إِنَّ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ مَنْ كَانَ أَحْسَنهم خُلُقًا، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه يُحَدِّثُنَا إِذْ قَالَ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا» [رواه البخاري ح (٦٠٣٥)، ومسلم ح (٦١٧٧)].

(١٢) مِنْ أَكْمَلِ وَأَحْسَنِ وَأَفْضَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا مَنْ كَانَ أَحْسَنَ خُلُقًا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» [الصحيحة (٥١١/١) ح (٢٨٤)]. وفي رواية: «أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» [الصحيحة (٣٧٢/٣) ح (١٣٨٤)].

(١٣) نَوَالُ الْمَرْءِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الْقَائِمِ لَيْلَهُ الصَّائِمِ نَهَارَهُ، عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقه دَرَجَات قائم اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ» [الصحيحة (٤٣٧/٢) ح (٧٩٥)].

(١٤) الْخُلُقُ الْحَسَنُ مِنْ أثقل مَا يجدُ الْمَرْءُ فِي مِيزَانِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ» [الصحيحة (٥٦٣/٢) ح (٨٧٦)].

(١٥) الْبِرُّ هُوَ حُسْنُ الْخُلُقِ، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ



سَمْعَانَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» [رواه مسلم ح (٢٥٥٣)].

(١٦) من كان فيه خلق حسن فلا عليه ما فاته من الدنيا، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلاَ عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ» [صحيح الجامع ح (٨٧٣)].

(١٧) يُسْتَحَبُّ لِلْمَرْءِ أن يُحْسِنَ الْخُلُقَ عِنْدَ طُولِ عُمُرِه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «خِيَارُكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا وَأَحْسَنُكُمْ أَخْلاَقًا» [الصحيحة (٣/٢٨٦) ح (١٢٩٨)].

(١٨) حُسْنَ الْخُلُقِ يعمر الديار ويزيد في الأعمار، عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ، يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الأَعْمَارِ» [الصحيحة (٢/٣٤) ح (٥١٩)].

ثمار حُسْن الخلق

لحسن الخلق ثمار كثيرة أهمها:

- أنه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وامتثال لأمره وانتهاء عن نهيه.
- أن الأخلاق من عناصر بقاء الأمم عزيزة قوية، كما قال الشاعر:

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

- يُشيع الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع، بينما سوء الخلق يورث التباغض والتحاسد والتقاطع.
- يُكثِرُ الأصدقاء ويُقلل الأعداء.
- أنه سبب لجلب الرزق، قال يحيى بن معاذ- رحمه الله-: (في سَعَة الأخلاق كنوز الأرزاق).
- أنه سبب للسلامة من مصارع السوء، وهذا يؤخذ من كلام خديجة-رضي الله عنها- للرسول صلى الله عليه وسلم حينما قالت له: «كَلاَّ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ» [متفق عليه]، فاستدلت بمكارم أخلاقه وخصال الخير فيه على سلامته من مصارع السوء.
- يَزِيدُ في العمر عَنْ عَائِشَةَ-رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهَا: «حُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ، يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الأَعْمَارِ» [الصحيحة (٢/٣٤) ح (٥١٩)].

حُسْن الخلق والتعامل مع الآخرين

إن لحسن الخلق أثراً عظيماً في التعامل مع الآخرين، إذ به يمكنك أن تكسب حب الناس وطاعتهم لك، أو تأخذ من الناس ما تريد بحسن خلقك.

ومن معاملة الناس بحسن الخلق:

- التأدب بالآداب الإسلامية العامة مثل: آداب السلام، وآداب الكلام، وآداب المجلس، وآداب الطعام، وآداب الاستئذان، وغير ذلك من الآداب.
- مراعاة حقوق الآخرين، فيراعي حقوق الوالدين، وحقوق الأرحام، وحقوق الجار، وحقوق المعلم، وحقوق الصديق، وحقوق الكبير، إلى غير ذلك.
- والأساس في معاملة الآخرين ينبغي أن ينطلق من قاعدة: «أَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ» [الصحيحة (١/١١٢) ح (٧٢)]؛ لأنه «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» [متفق عليه: رواه البخاري ح (١٣)، ومسلم ح (٤٥)].

كيفية اكتساب حسن الخلق

الإنسان يمكن أن يكون مجبولاً على خلق حسن، ويمكن أيضاً أن يكتسب هذا الخلق الحسن.

قَالَ الإِمَام النَّوَوِيّ- رَحِمَهُ اللَّهُ-: حَكَى الطَّبَرِيُّ خِلافًا لِلسَّلَفِ فِي حُسْن الْخُلُق هَلْ هُوَ غَرِيزَة أَمْ مُكْتَسَب؟ قَالَ الْقَاضِي: وَالصَّحِيح أَنَّ مِنْهُ مَا هُوَ غَرِيزَة، وَمِنْهُ مَا يُكْتَسَبُ بِالتَّخَلُّقِ وَالاقْتِدَاء بِغَيْرِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. [شرح النووي (١٥/ ٧٨)].

يمكن للإنسان أن يكتسب الأخلاق الحسنة، وذلك عن طريق ما يلي:

(١) المجاهدة: بأن يجاهد نفسه على التخلق بالأخلاق الحسنة، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ» [صحيح الجامع ح (٢٣٢٨)]. ولا شك أن النفس تحتاج إلى مجاهدة، فإذا تمت مجاهدتها سلس انقيادها.

(٢) المحاسبة: بأن تحاسب نفسك كل ما رأيت أنها ارتكبت خلقاً سيئاً حاسبتها.

(٣) الهمة العالية للتخلق بالأخلاق الحسنة.

(٤) مصاحبة أصحاب الأخلاق الحسنة، والابتعاد عن أصحاب الأخلاق السيئة؛ لأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» [الصحيحة (٢/٦٣٣) ح (٩٢٧)].

(٥) التأمل لما يترتب على سوء الخلق من مقت الناس لسيئ الخلق وهجرهم له، فسيئ الخلق يتضايق منه الناس حتى أهله يقول أبو حازم سلمة بن دينار: (السيئ الخلق أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيته وإنهم لفي سرور فيسمعون صوته فينفرون عنه فرقاً منه، حتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزوي على الجدار، حتى إن قطه ليفر منه) [انظر: فضل حسن الخلق للعابد (ص٤١)].

(٦) الدعاء بأن يرزقك الله حسن الخلق: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ...» [رواه مسلم ح (٧٧١)]. «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ...» [صحيح الجامع ح (١٢٩٨)]. «اللَّهُمَّ حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي» [صحيح الجامع ح (١٣٠٧)].

نماذج من الأخلاق الحسنة:

أولاً: الصدق: هو من أفضل وأعظم الخصال التي يجب أن يتحلى بها المؤمن، فهو لا يعرف إلا بصدقه، وهو دليل على إيمانه قال تعالى: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» [التوبة/١١٩]. والتزام الصدق من أهم الأعمال التي تؤدي إلى دخول الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا» [رواه مسلم ح (٢٦٠٧)].

ثانياً: الأمانة: وهي قرينة الصدق، ولا أمانة لمن لا صدق له، ولا صدق لمن لا أمانة له، والأمانة هي القيام بجميع التكاليف والالتزامات الاجتماعية والأخلاقية، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا» [النساء/٥٨]، وقال تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ» [المعارج/٣٢]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ما خطبنا نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم إلا قال: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ» [صحيح الجامع ح (٧١٧٩)].

ثالثاً: الحياء: وهو الامتناع عن فعل ما يُستقبح، والكف عن كل ما لا يرضي الخالق والمخلوق، والحياء من الإيمان، والحياء لا يأتي إلا بخير، وخلق الإسلام الحياء، وكان صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها. قال صلى الله عليه وسلم: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ» [متفق عليه]. وفي رواية: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» [رواه مسلم ح(١٦٦)].

رابعاً: الحلم: وهو ضبط النفس عند الغضب، والصبر على الأذى من غير ضعف ولا عجز، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ» [صحيح الجامع ح (٦٥١٨)]. وقال لقمان لابنه يا بني: (ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة: لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة) [انظر: المستطرف (٤١٩/١)].

خامساً: التواضع: وهو ضد الكبر وهو احترام الناس وتقديرهم وعدم التعالي عليهم، أو الاستخفاف بهم وهو من الصفات الحميدة التي يجب أن يتحلى بها كل مسلم، والتواضع يدل على حسن الخلق، وإذا تواضع الإنسان رفعه الله قال صلى الله عليه وسلم: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» [رواه مسلم ح (٢٥٨٨)].

سادساً: الصبر: وهو قوة الإرادة والرضا بقدر الله، والقدرة على احتمال المكاره وعدم الجزع من المصائب، وقد حثنا سبحانه على الصبر، وأثنى على من اتصف به، فقال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» [البقرة/٥٣]، وقال سبحانه: «وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ» [لقمان/١٧]، وقال: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ» [الزمر/١٠]. وقال صلى الله عليه وسلم: «مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» [متفق عليه].

الأسوة الحسنة:

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضرب المثل والقدوة الحسنة في حسن الخلق، فلقد أثنى عليه ربه عز وجل في كتابه: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» [القلم/٤]، وامتن سبحانه عليه بأن حسَّن خلقه فجعله لينا للمؤمنين فقال: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» [آل عمران/١٥٩]، ووصفه سبحانه بالرأفة والرحمة على المؤمنين، وهذا من حسن الخلق، فقال عز وجل: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» [التوبة/١٢٨]. وحينما سُئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» [رواه مسلم ح (٧٤٦)].

فلقد صار امتثال القرآن أمراً ونهياً خُلقاً له، فما أمره به ربه فعله، وما نهاه عنه تركه، وما ذكر سبحانه له من خلق حسن إلا واتصف به، وما ذكر له من خلق سيئ إلا ابتعد عنه.

وأثنى الصحابة على حسن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنْ عَائِشَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّهَا قَالَتْ: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاحِشاً، وَلَا مُتَفَحِّشاً، وَلَا صَخَّاباً فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ» [المشكاة ح(٥٨٢٠)]. وَعَنْهَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» [رواه مسلم ح (٢٣٢٨)]. وهذا أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا» [متفق عليه].

والصحابة كذلك كانوا مضرب المثل في حسن الخلق، ولا عجب في هذا، فقد رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وورثوا عنه الأخلاق الحسنة، لقد أثنى الله عليهم بأخلاق حسنة فقال: «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» [الفتح/٢٩]، وقال: «أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» [المائدة/٥٤].

هذا والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.



الدعوة إلى التوحيد من هدي النبيين

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى.

أما بعد:

فإفراد الله بالعبادة أصلُ الدِّين وملاك الأمر، إنه أول أمر في كتاب الله، والنهي عن الشرك أول نهي في كتابه سبحانه، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)» [البقرة:٢١ - ٢٢].

والأمر بتوحيد الله أول دعوة الرسل، قال الله تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)» [النحل:٣٦].

وقال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)» [الأنبياء:٢٥].

وقال تعالى: «وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)» [الزخرف:٤٥].

فالأمر بتوحيد الله أول دعوة الرسل، ما من نبي إلا قال لقومه: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩)» [الأعراف:٥٩].

وقد دعا نبيُّنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم الناس إلى التوحيد عشر سنين قبل فرض الفرائض تعظيمًا لشأنه، وربى أصحابه على سلامة التوحيد وصحة العقيدة، وقوة اليقين، والتوكل على الله وحده، وأرشد صلى الله عليه وسلم الدعاة إلى أن يكون الأمر بالتوحيد أول دعوتهم، فقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله». [متفق عليه].

ولقد وصى الأنبياء أبناءهم بالثبات على التوحيد حتى الممات: «وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)» [البقرة:١٣٢].

وعن التوحيد سأل الأنبياءُ وهم على فراش الموت ذرياتهم: «أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)» [البقرة:١٣٣].

ومن أجل التوحيد ونفي الشرك ترك نبي الله يوسف عليه السلام ملة قومه: «خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤) وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)» [يوسف:٣٧ - ٣٨].

وفي قوله هذا إشارة إلى وحدة الملة التي كان عليها إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام، وهي ملة التوحيد التي كان عليها الأنبياء أجمعون، وما تحلت بالتوحيد والعمل الصالح أمة إلا عزّ سلطانها، وعظم شأنها، وهيب جانبها، ومكّن الله لها في الأرض، وبدّل خوفها أمنًا، قال الله تعالى: «وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٥٥)» [النور:٥٥].

ومن فضائل التوحيد ورذائل الشرك: أن الإيمان من موجبات الأمن، قال الله تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)» [الأنعام:٨٢].

فالأمن والهداية قرينان لا يفترقان، إذا زال أحدهما زال الآخر، فالأمنُ الحقيقي ليس بكثرة الجيوش والجنود، إنما هو الأمنُ المنبعثُ من الروح المطمئنة التي رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولاً.

ومفهومُ الآية الكريمة أنّ الذينَ لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء، والخوف والرعب، والفزع والقلق، وهذه الآية العظيمة تبينُ لنا الفهمَ الواقعيّ لقوله سبحانه: «سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ (١٥١)» [آل عمران:١٥١]، هذا في الدنيا، وأما في الآخرة: «سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ (١٥١)» [آل عمران:١٥١].

فلا يرتفع الشقاءُ والعناءُ عن البشرية إلا حين تستيقنُ البصائرُ أنه سبحانه الواحد القهارُ، له الملك كله وله الأمر كله: «يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٣٩)» [يوسف:٣٩].

هل يستوي من تتوزعُه الأهواءُ وتتنازعه الشهوات، لا يدري أين يوجِّهُ، ولا لمن يكونُ الرضا والخضوع؟ هل يستوي مع من خضع للإله الحق فينعم براحة اليقين، وبرْد الاستقامة ووضوح الطريق؟!

«ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩)» [الزمر:٢٩]، والموحد لله تكونُ مشاعر قلبه وخلجات ضميره مرتبطةً بربه سبحانه مؤتمرةً بأوامره، منتهية عن نواهيه، يُحلُّ ما أحلَّ اللهُ، ويحرِّمُ ما حرم الله، وفيه يكون الولاءُ والبراءُ، والحبُّ والبغض، والمودة والعداء، وتوحيدُ الاعتقاد يتبعُه توحيدُ العمل والاستقامة في الاتباع، «وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ (٢٢)» [لقمان:٢٢]، «وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥)» [النساء:١٢٥].

وهكذا يتجلى التوحيدُ؛ طهارةً في القلب، وصحةً في العقل، ورفعةً في السلوك، واستقامة على الفطرة «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)» [الروم:٣٠].

والتوحيد يستوجب الشكر، قال الله تعالى حكاية عن نبيه يوسف عليه السلام: «وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)» [يوسف:٣٨].

قال ابن عيينة - رحمه الله -: «ما أنعم الله على عبد من العباد نعمةً أعظم من أنْ عرفهم لا إله إلا الله».

وما لم يتحقق التوحيدُ وإخلاصُ العبادة وتمام الخضوع والانقياد والتسليم - لله رب العالمين - فلا تُقبلُ صلاةٌ ولا زكاةٌ، ولا يصحُّ صومٌ ولا حجٌ، ولا يزكو أيُّ عملٍ يُتقربُ به إلى الله: «ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٨٨)» [الأنعام:٨٨].

وإذا لم يتحقق التوحيد فلا تنفعُ شفاعةُ الشافعين، ولا دعاءُ الصالحين حتى ولو كان الداعي سيد ولد آدم يوم الدين محمد خاتم النبيين، اقرءوا إن شئتم ما جاء في التنزيل: «ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ (٨٠)» [سورة التوبة:٨٠].

من أجل هذا كان التوحيدُ والدعوةِ إليه أولاً ولا بد في كل عصر وفي كل مصر، وفي كل وقت وحين، حتى النزع الأخير، كما قال الصادق الأمين: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، دخل الجنة». [صحيح الجامع: ٦٤٧٩].

اللهم اختم لنا بها يا رب العالمين.



فتاوى المجامع الفقهية..

: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم المرسلين، وعلى آله وصحبه. وبعدُ
فتاوى المجامع الفقهية في حكم التعامل بالفوائد وتفشي المصارف الربوية
إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمره الثاني بجدة من ١٠ - ١٦ ربيع الآخر ١٤٠٦هـ الموافق ٢٢- ٢٨ ديسمبر ١٩٨٥م.
بعد أن عُرضت عليه بحوث مختلفة في التعامل المصرفي المعاصر، وبعد التامل فيما قُدم، ومناقشته مناقشة مركزة أبرزت الآثار السيئة لهذا التعامل على النظام الاقتصادي العالمي، وعلى استقراره خاصة في دول العالم الثالث.

وبعد التامل فيما جره هذا النظام من خراب نتيجة إعراضه عما جاء في كتاب الله من تحريم الربا جزئيًا وكليًا تحريمًا واضحًا بدعوته إلى التوبة منه، وإلى الاقتصار على استعادة رءوس أموال القروض دون زيادة ولا نقصان قل أو أكثر، وما جاء من تهديد بحرب مدمرة من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم للمرابين.

قرر:

أولًا: إن كل زيادة أو فائدة على الدين الذي حل أجله وعجز المدين عن الوفاء به مقابل تأجيله، وكذلك الزيادة أو الفائدة على القرض منذ بداية العقد: هاتان الصورتان ربًا محرم شرعًا.

ثانيًا: أن البديل الذي يضمن السيولة المالية والمساعدة على النشاط الاقتصادي حسب الصورة التي يرتضيها الإسلام، هي التعامل وفقًا للأحكام الشرعية، ولاسيما ما صدر عن هيئات الفتوى المعنية بالنظر في جميع أحوال التعامل التي تمارسها المصارف الإسلامية في الواقع العملي.

ثالثًا: قرر المجمع التاكيد على دعوة الحكومات الإسلامية إلى تشجيع المصارف الإسلامية القائمة، والتمكين لإقامتها في كل بلد إسلامي لتغطي حاجة المسلمين؛ كيلا يعيش المسلم في تناقض بين واقعه ومقتضيات عقيدته. والله أعلم.

فتوى مجمع الفقه برابطة العالم الإسلامي

قرار مجمع رابطة العالم الإسلامي بشأن موضوع تفشي المصارف الربوية وتعامل الناس معها وحكم أخذ الفوائد الربوية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته المنعقدة بمبنى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ١٢ رجب ١٤٠٦هـ إلى يوم السبت ١٩ رجب ١٤٠٦هـ قد نظر في موضوع تفشي المصارف الربوية، وتعامل الناس معها، وعدم توافر البدائل عنها، وهو الذي أحاله إلى المجلس معالي الدكتور الأمين العام نائب رئيس المجلس.

وقد استمع المجلس إلى كلام السادة الأعضاء حول هذه القضية الخطيرة التي يقترف فيها محرم بيّن ثبت تحريمه بالكتاب والسنة والإجماع، وأصبح من المعلوم من الدين بالضرورة، واتفق المسلمون كافة على أنه من كبائر الإثم، والموبقات السبع، وقد آذن القرآن الكريم مرتكبيه بحرب من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ » [البقرة:٢٧٨ - ٢٧٩].

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه «لعن آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه»، وقال: «هم سواء». رواه مسلم.

كما روى ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بانفسهم عذاب الله عز وجل». [الطبراني في الكبير ٤٦٠ والحاكم وصححه وحسنه الألباني].



وتفشي المصارف الربوية

إعداد/ د. علي أحمد السالوس

أستاذ فخري في المعاملات المالية
والاقتصاد الإسلامي بجامعة قطر

وقد أثبتت البحوث الاقتصادية الحديثة أن الربا خطر على اقتصاد العالم وسياسته، وأخلاقياته وسلامته، وأنه وراء كثير من الأزمات التي يعانيها العالم، وأنه لا نجاة من ذلك إلا باستئصال هذا الداء الخبيث الذي هو الربا من جسم العالم، وهو ما سبق به الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا.

ومن نعمة الله تعالى أن المسلمين بدءوا يستعيدون ثقتهم بأنفسهم ووعيهم لهويتهم نتيجة وعيهم لدينهم، فتراجعت الأفكار التي كانت تمثل مرحلة الهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية، ونظامها الرأسمالي، والتي وجدت لها يومًا من ضعاف الأنفس من يريد أن يقسر النصوص الصريحة الثابتة قسرًا لتحليل ما حرم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد رأينا المؤتمرات والندوات الاقتصادية التي عُقدت في أكثر من بلد إسلامي - وخارج العالم الإسلامي أيضًا - تقرر بالإجماع حرمة الفوائد الربوية، وتثبت للناس إمكان قيام بدائل شرعية عن البنوك والمؤسسات القائمة على الربا.

ثم كانت الخطوة العملية المباركة، وهي إقامة مصارف إسلامية خالية من الربا والمعاملات المحظورة شرعًا، بدأت صغيرة ثم سرعان ما كبرت، قليلة ثم سرعان ما تكاثرت حتى بلغ عددها الآن في البلاد الإسلامية وخارجها أكثر من تسعين مصرفًا.

وبهذا كذبت دعوى العلمانيين وضحايا الغزو الثقافي الذين زعموا يومًا أن تطبيق الشريعة في المجال الاقتصادي مستحيل؛ لأنه لا اقتصاد بغير بنوك، ولا بنوك بغير فوائد.

وقد وفق الله بعض البلاد الإسلامية مثل باكستان لتحويل بنوكها الوطنية إلى بنوك إسلامية لا تتعامل بالربا أخذًا ولا عطاءً، كما طلبت من البنوك الأجنبية أن تغير نظامها بما يتفق مع اتجاه الدولة، وإلا فلا مكان لها، وهي سنة حسنة لها أجرها وأجر من عمل بها، إن شاء الله.

ومن هنا يقرر المجلس ما يلي:

أولا: يجب على المسلمين كافة أن ينتهوا عما نهى الله تعالى عنه من التعامل بالربا أخذًا أو عطاءً، والمعاونة عليه بأي صورة من الصور، حتى لا يحل بهم عذاب الله، ولا يأذنوا بحرب من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: ينظر المجلس بعين الارتياح والرضا إلى قيام المصارف الإسلامية، التي هي البديل الشرعي للمصارف الربوية، ويعني بالمصارف الإسلامية كل مصرف ينص نظامه الأساسي على وجوب الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية الغراء في جميع معاملاته، ويلزم إداراته بوجوب وجود رقابة شرعية ملزمة، ويدعو المجلس المسلمين في كل مكان إلى مساندة هذه المصارف وشد أزرها، وعدم الاستماع إلى الشائعات المغرضة التي تحاول التشويش عليها، وتشويه صورتها بغير حق.

ويرى المجلس ضرورة التوسع في إنشاء هذه المصارف في كل أقطار الإسلام، وحيثما وجد للمسلمين تجمع خارج أقطاره، حتى تتكون من هذه المصارف شبكة قوية تهيئ لاقتصاد إسلامي متكامل.

ثالثًا: يحرم على كل مسلم يتيسر له التعامل مع مصرف إسلامي أن يتعامل مع المصارف الربوية في الداخل أو الخارج؛ إذ لا عذر له في التعامل معها بعد وجود البديل الإسلامي، ويجب عليه أن يستعيض عن الخبيث بالطيب، ويستغنى بالحلال عن الحرام.

قرار ثان لمجمع الرابطة

بشأن بحث المستشار القانوني إبراهيم بن عبد الله الناصر بعنوان: «موقف الشريعة الإسلامية من المصارف»

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.



أما بعدُ:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة في مكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ٢٤ صفر ١٤٠٨هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٨٧م إلى يوم الأربعاء ٢٨ صفر ١٤٠٨هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٨٧م قد اطلع على البحث الذي نشره المستشار القانوني بمؤسسة النقد السعودي إبراهيم بن عبد الله الناصر بعنوان: «موقف الشريعة الإسلامية من المصارف» الذي يدعي فيه إباحة القرض بفائدة، والمضاربة بالرسم المحدود.

والمجمع يستنكر بشدة هذا البحث:

أولاً: لخروجه على الكتاب والسنة والإجماع بإباحته القرض بفائدة؛ حيث اعتبره الباحث مغايرًا لربا الجاهلية الذي نزل بسببه القرآن.

ثانيًا: لجهله أو تجاهله بما علم من الدين بالضرورة وقلبه للحقائق؛ حيث اعتبر معاملة المقترض بفائدة مع المصرف تجارة مباحة ومضاربة مشروعة.

ثالثًا: لمخالفته اتفاق الفقهاء بإباحته المضاربة بالربح المحدود متمسكًا بكلام لبعض المعاصرين لا دليل عليه.

رابعًا: لدعواه الجريئة الظالمة أنه لن تكون بنوك بلا فوائد، ولن تكون قوة إسلامية بلا بنوك، وأن المصارف التي تقرض بفائدة مصلحة لا يتم العيش إلا بها!! فإن الأمة الإسلامية منذ نشأت عاشت قوية بغير مصارف، والذي يدحض دعواه في هذا العصر قيام المصارف الاستثمارية في كثير من بلاد الإسلام.

ودعواه أن هذه المصارف التي تقرض بفائدة مصلحة يحتاج الناس إليها مردودة، بل الربا مفسدة، ولو صح أنه مصلحة فهي مصلحة ملغاة بالأدلة المحرمة للربا.

خامسًا: تسميته لبحثه اجتهادًا مع أنه اجتهاد باطل لمخالفته النصوص الواضحة والإجماعات القاطعة، وترويج للشبه والحجج الزائفة بنقله عن الجهلة بمقاصد الشريعة: أن الربا تعويض عن حرمان المقرض بماله مدة القرض، وهي من شبه اليهود في إحلالهم الربا.

والمجمع يناشد الذين يريدون الكتابة عن شريعة الإسلام أن يتقوا الله فلا يكتبوا إلا عن بينة، ولا يبحثوا إلا عن بصيرة، ولا يفتحوا أبواب الشبه، ولا ينشروا الجهالات لئلا يصرفوا الناس عن الحق ويلبسوا على المسلمين دينهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وصلى الله على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

قرار ثالث لمجمع الرابطة

بشأن موضوع: هل يجوز تحديد ربح المال في شركة المضاربة بمقدار معين من المال؟

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الرابعة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة التي بدأت يوم السبت ٢٠ من شعبان ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٥/١/٢١م قد نظر في هذا الموضوع، وقرر أنه لا يجوز في المضاربة أن يحدد المضارب لرب المال مقدارًا معينًا من المال؛ لأن هذا يتنافى مع حقيقة المضاربة، ويجعلها قرضًا بفائدة؛ ولأن الربح قد لا يزيد على ما جعل لرب المال فيستأثر به كله، وقد تخسر المضاربة، أو يكون الربح أقل مما جعل لرب المال، فيغرم المضارب.

والفرق الجوهري الذي يفصل بين المضاربة والقرض بفائدة الذي تمارسه البنوك الربوية هو أن المال في يد المضارب أمانة، لا يضمنه إلا إذا تعدى أو قصر، والربح يقسم بنسبة شائعة متفق عليها بين المضارب ورب المال. وقد أجمع الأئمة الأعلام على أن من شروط صحة المضاربة أن يكون الربح مشاعًا بين رب المال والمضارب دون تحديد قدر معين لأحد منهما، والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا والحمد لله رب العالمين.

باب الأسرة

الأسرة المسلمة وتعظيم حرمات الله

إعداد/ جمال عبدالرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعدُ:

فإن الله سبحانه وتعالى العلي العظيم، الذي خلق فسوى وقدر فهدى، وله الخلق والأمر، وله الحكم وإليه ترجعون، حقه على عباده تعظيم شأنه وتوحيده والتسليم له، وتعظيم شعائره وحرماته، فما أعظم الله سبحانه وتعالى، وما أعظم خلقه وأمره، وما أعظم شرعه وحكمه!!

تعظيم أيام الله

في الحديث المتفق عليه عند الإمامين البخاري ومسلم من رواية الصحابي الجليل أبي بكرة رضي الله عنه يقول: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مُضر الذي بين جُمادى وشعبان، ثم قال: أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى. قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس البلدة؟ قلنا: بلى، قال: فأي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه - وكان محمد بن أبي بكرة إذا ذكره قال: صدق النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: ألا هل بلغت، ألا هل بلغت، مرتين».

قال أبو داود: قوله: إن الزمان قد استدار كهيئته - معنى هذا الكلام - أن العرب في الجاهلية كانت قد بدلت أشهر الحرم، وقدمت وأخرت أوقاتها من أجل النسيء الذي كانوا يفعلونه، وهو ما ذكر الله سبحانه في كتابه، فقال: «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا» [سورة التوبة:٣٧]، ومعنى النسيء تأخير رجب إلى شعبان، والمحرم إلى صفر، وأصله مأخوذ من نسأت الشيء إذا أخرته، ومنه النسيئة في البيع، وكان من جملة ما يعتقدونه من الدين تعظيم هذه الأشهر الحرم، فكانوا يتحرجون فيها عن القتال وعن سفك الدماء، ويأمن بعضهم بعضا إلى أن تنصرم هذه الأشهر، ويخرجوا

إلى أشهر الحل، فكان أكثرهم يتمسكون بذلك ولا يستحلون القتال فيها، وكان قبائل منهم يستبيحونها، فإذا قاتلوا في شهر حرام حرموا مكانه شهرًا آخر من أشهر الحل، ويقولون: نسأنا الشهر، واستمر ذلك بهم حتى اختلط ذلك عليهم وخرج حسابه من أيديهم، فكانوا ربما يحجون في بعض السنين في شهر ويحجون في قابل في شهر غيره، إلى أن كان العام الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصادف حجهم شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة، فوقف بعرفة اليوم التاسع منه، ثم خطبهم فأعلمهم أن أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان، وعاد الأمر إلى الأصل الذي وضع الله حساب الأشهر عليه يوم خلق السماوات والأرض وأمرهم بالمحافظة عليه لئلا تتغير أو تتبدل، ونهى الله سبحانه الناس أن يظلموا أنفسهم فيهن فقال: «فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ» [سورة التوبة:٣٦]، فالذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح فيهن والأجر أعظم». [انتهى. معالم السنن للخطابي].

موقف الأسرة المسلمة من الأشهر الحرم

فوق تعظيم هذا الشهر المحرم كبقية الأشهر الحرم، وكتعظيم لحرمات الله وشعائره، فقد ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة الليل». [رواه مسلم].

قال أبو عبيد: إنما نسبه إلى الله عز وجل - والشهور كلها له - لتشريفه وتعظيمه، وكل معظم يُنسب إليه سبحانه، وإنما خصه بقوله: «المحرّم» دون باقي المحرمات لأنه كان معروفًا بذلك الاسم.

وقال الحافظ العراقي في شرح الترمذي: ما الحكمة في تسمية المحرم شهر الله والشهور كلها لله؟ يحتمل أن يقال: إنه لما كان من الأشهر الحرم التي حرم الله فيها القتال، وكان أول شهور السنة أضيف إليه إضافة تخصيص، ولم يصح إضافة شهر من الشهور إلى الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا شهر الله المحرم.

وقال النووي: سُئلتُ: لم خُصّ المحرم بقولهم: شهر الله دون سائر الشهور مع أن فيها ما يساويه في الفضل أو يزيد عليه كرمضان، ووجدت ما يجاب به أن هذا الاسم إسلامي دون سائر الشهور، فإن أسماءها كلها على ما كانت عليه في الجاهلية، وكان اسم المحرم في الجاهلية صفر الأول، والذي بعده صفر الثاني، فلما جاء الإسلام سماه الله المحرم، فأضيف إلى الله بهذا الاعتبار، وهذه الفائدة لطيفة رأيتها في الجمهرة، قال القرطبي: إنما كان صوم المحرم أفضل الصيام من أجل أنه أول السنة المستأنفة، فكان استفتاحها بالصوم الذي هو أفضل الأعمال». انتهى. شرح السيوطي على مسلم (٣٢٢/٦).

ومما عظم به شهر الله المحرم صيام يوم العاشر منه، فعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في صوم عاشوراء: «أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله». [مسلم: ٣/١٦٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء، فسئلوا عن ذلك، فقالوا: هو اليوم الذي أظهر الله موسى على فرعون، ونحن نصومه تعظيمًا له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ونحن أَوْلى بموسى منكم، وأمر بصيامه». [التمهيد لابن عبد البر ٢٠٩/٧].

فهذا دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصمه أيضًا إلا تعظيمًا.

ماذا يقول المسلم إذا حال عليه حول جديد؟

كثير من الناس يهنئ بعضهم بعضًا بانقضاء عام ومجيء عام آخر جديد، وهذا والله لم يثبت به سنة، لكن الثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستقبل الزمن الجديد بدعاء الحميد المجيد، بأن يبارك له في مستقبل تلك الأيام، فكان صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهله علينا باليُمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله». [أحمد والترمذي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٨١٦].

وكان صلى الله عليه وسلم إذا استقبل يومًا جديدًا أو ليلة جديدة يقول: «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم إني أسألك من خير هذه الليلة وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها، اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر وفتنة الدنيا وعذاب القبر». وإذا أصبح قال أيضًا: «أصبحنا وأصبح الملك لله». [أخرجه مسلم].

هذا الذي ينبغي أن يفعله المسلم؛ لأن العبد المؤمن الذي يفهم حقيقة دينه يعلم أن العبد بين مخافتين، بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليتزود العبد من نفسه لنفسه، ومن شبابه لهرمه، ومن حياته لموته، ومن دنياه لآخرته، فإن الدنيا خلقت لنا، والآخرة خلقنا لها، وما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار.

محرمات استهان بها كثير من الناس

وفي الحديث السابق ذكره قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا». وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذه المحرمات بعد قوله: «كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا». لبيان توكيد غلظ تحريم الأموال والدماء والأعراض والتحذير من ذلك، وليس لبعضكم أن يتعرض لبعض فيريق دمه أو يسلب ماله أو ينتهك عرضه، ويكون حرمة التعرض لذلك في أي وقت كحرمة التعرض لها في الشهر الحرام في البلد الحرام (مكة) في يوم حرام كعرفة أو النحر، وشبه النبي صلى الله عليه وسلم حرمة الدماء والأموال والأعراض بحرمة مكة والشهر واليوم؛ لأنهم كانوا لا يرون استباحتها وانتهاك حرمتها بحال، ويعيبون على من فعل ذلك أشد العيب.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح رياض الصالحين: أما في حقوق عباد الله، فالظلم يدور على ثلاثة أشياء، بينها النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا». فالظلم في النفس هو الظلم في الدماء بأن يعتدي الإنسان على غيره بسفك الدماء أو الجروح أو ما أشبه ذلك، والظلم في الأموال بأن يعتدي الإنسان، ويظلم غيره في الأموال، إما بعدم بذل الواجب، وإما بإتيان محرم، وإما بأن يمتنع من واجب عليه، وإما أن يفعل شيئًا محرمًا في مال غيره. وأما الظلم في الأعراض فيشمل الاعتداء على الغير بالزنا واللواط والقذف، وما أشبه ذلك، وكل الظلم بأنواعه محرم، ولن يجد الظالم من ينصره أمام الله تعالى، قال الله تعالى: «مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ» [غافر:١٨]، أي أنه يوم القيامة لا يجد الظالم حميمًا أي صديقًا ينجيه من عذاب الله، ولا يجد شفيعًا يشفع له فيطاع لأنه منبوذ بظلمه وغشمه وعدوانه، فالظالم لن يجد من ينصره يوم القيامة، قال الله تعالى: «وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾» [البقرة:٢٧٠]، يعني: لا يجدون أنصارًا ينصرونهم ويخرجونهم من عذاب الله سبحانه وتعالى في ذلك اليوم. انتهى (٤٨٥/٢).

شناعة الغيبة

ومما يحرم في أعراض الناس استباحة الرجل الحديث في عرض أخيه بذمه وغيبته وسبه، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم فظاعة هذا فقال: «إن من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم». [أخرجه ابن أبي حاتم، وانظر فتح الباري ٤١١/١٠، وسنده حسن].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الربا اثنان وسبعون بابًا أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه». [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة].

وهو عند الطبراني في الأوسط قال القاري في مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح: «ففي الحديثين دلالة على أن وجه زيادة الربا على معصية الزنا، وإنما هو لتعلق حقوق العباد، إذ الغالب أن الزنا لا يكون إلا برضا الزانية، ولذا قدمها الله تعالى في قوله: «الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي» [النور:٢]، وإلا فأي عرض يكون فوق هتك الحرمة، ومرتبة القذف دون معصية الزنا، والله تعالى أعلم». انتهى. (١٩٢٥/٥).

وقال أيضا (٢١٥٨/٨): قال القاضي: الاستطالة في عرض المسلم أن يتناول منه أكثر مما يستحقه على ما قيل له، أو أكثر مما رخصوا له فيه، ولذلك مثله بالربا وعدّه من عداده، ثم فضله على سائر أفراده؛ لأنه أكثر مضرة وأشد فسادًا. انتهى.

والحمد لله رب العالمين.

مؤمن آل فرعون (١)

(أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله)

إعداد/ عبدالرزاق السيد عيد



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وخاتم النبيين ورسول الله للعالمين، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد:

قال الله تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ (٢٧) وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ (٢٩)» [غافر: ٢٣- ٢٩].

أيها الأخ الكريم: هذه آيات الكتاب العزيز تتلو علينا من نبأ موسى وفرعون بالحق، وتقصُّ علينا من نبأ الرجل الذي آمن من قوم فرعون الذي كان يكتم إيمانه ينطق بالحق مدافعًا عنه في عبارات من نور يكفي في فضلها ومنزلتها أن سجلها القرآن الكريم آيات تتلى إلى قيام الساعة تدعو إلى الحق وإلى صراط مستقيم فيها ذكرى وعبرة للموقنين، وسنقف معها بحول الله وطوله الوقفات الآتية:

الأولى: مع قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤)» [غافر: ٢٣].

هذا هو نبي الله موسى وهو من هو في منزلته ومكانته، فهو كليم الله اصطفاه الله على الناس برسالته وبكلامه، وهو من أولي العزم من الرسل أرسله الله بآيات واضحات وسلطان واضح أي حجة واضحة إلى «فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ» [غافر: ٢٤]، قال أهل التفسير: فرعون ملك القبط، والقبط هم أهل مصر القدماء، وكانوا عباد أوثان وأصنام، فكلمة قبطي تعني مصري قديم من قوم فرعون الوثنيين وفرعون هو ملكهم،

وكانت كلمة (فرعون) تطلق على كل ملك يحكم مصر في ذلك الزمن القديم، وهامان وزيره، وقارون كان من قوم موسى، لكنه كان أغنى الناس في ذلك الزمن وأكثرهم مالاً.

وقد جمعهم الله لأنهم رؤوس الفساد، ولأنهم اجتمعوا على تكذيب موسى، وإن اختلفت مشاربهم، لكن جمعهم التكذيب، ولأن في اجتماعهم أيضًا إشارة إلى قمة الفساد بتزاوج السلطة والمال.

الثانية: بلوغ الفساد أقصاه:

وقد بلغ فساد هؤلاء المكذبين مداه حين قالوا: «فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾» [غافر: ٢٥].

وهذه طبيعة مكذبي الرسل في كل زمان ومكان حين يعجزون عن مواجهة الحجة بالحجة، ويفشلون في محاورة أهل الحق، فليس أمامهم غير البطش والتنكيل، وقد رأينا هذا فيما عشنا معه من قصص الأنبياء قديمًا، ونراه واقعًا اليوم في حياتنا المعاصرة، ولم يكتف هؤلاء المكذبون بتكذيبهم موسى واتهامه بالسحر، بل أرادوا استئصال شأفة كل من آمن به حتى يجففوا ينابيع الخير، ويقضوا عليها قضاءً تامًا فأمروا بقتل الذكور واستحياء الإناث أي استبقائهم للخدمة والذلة والمهانة، بل زعم فرعون قتل موسى كما سيأتي، ولكن الله - سبحانه - لم يمكن لهم، وأعلن ضلال سعيهم، وفضح تخطيطهم فقال سبحانه في عبارة موجزة موحية مطمئنة لأهل الحق: «وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾» [غافر: ٢٥]، هكذا حكم الله، وحكمه الحق والعدل.

الثالثة: منطق الطغاة والجبابرة:

قال الله تعالى: «وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾» [غافر: ٢٦].

١- هكذا ينطق فرعون بالباطل الذي ظنه حقًا، ألم يقل لقومه: (ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد)، هكذا يرى فرعون نفسه، لا سبيل إلا ما يراه ولو كان باطلا - وهو كذلك - فهو في زعمه سبيل الرشاد، ومن هنا يرى ضرورة قتل موسى الذي يراه كاذبًا، وقد صرَّح باتهامه بالكذب في غير موضع، ولذلك قال هنا: «وَلْيَدْعُ رَبَّهُ» [غافر: ٢٦] يعني إن كان صادقًا في دعواه وإن كان له رب كما يزعم، وهذا الزعم الباطل قد كلف فرعون كثيرًا، فإن الله كان له بالمرصاد لم يغفل عن ظلمه أبدًا حتى إذا أخذه لم يفلته، فأغرقه وجنوده وهو في عنفوان قوته، وألقاه جثة هامدة على قارعة الطريق ليكون لمن خلفه آية.

٢- فهل يعتبرون؟ لكن العجب ليس في زعم فرعون قتل موسى، بل العجب كل العجب في تبريره فهو يقول: «إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ» [غافر: ٢٦]، ولو قالها وسكت لكان في منطقه شيء من العقل؛ لأن موسى سيبدل دينهم لكن من الباطل إلى الحق، لكن فرعون قضى على هذا الاحتمال، يقول: «أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ» [غافر: ٢٦]، فهل هذا معقول، موسى رسول الله يدعو الناس إلى الفساد وفرعون عدو الله يهدي الناس إلى سبيل الرشاد؟! ما هذه المفارقة العجيبة؟ والمغالطة المقصودة؟ فرعون الذي علا في الأرض وجعل أهلها شيعًا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم فاستحق كما وصفه الله: «إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ». فمن نصدق؟ نصدق الله رب العالمين؟ أم نصدق فرعون الذي كان من المفسدين؟

٣- ومما يؤسف له أن هذا المنطق المعكوس نراه كثيرًا قديمًا وحديثًا، فقوم لوط اتهموا لوطًا وبناته بالطهر والعفاف، وهذا في نظر المنحرفين جريمة يستحق عليها آل لوط الطرد من القرية.

كما كانت جريمة أصحاب الأخدود التي عاقبهم عليها الطغاة بالحرق بالنار كانت جريمة المؤمنين هي الإيمان بالله رب العالمين، وماذا كانت جريمة خاتم النبيين؟ لم تكن جريمة النبي صلى الله عليه وسلم أن دعا الناس لعبادة الله وتوحيده، فقال الله سبحانه واصفًا حالهم وقولهم عن النبي صلى الله عليه وسلم: «وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾» [ص: ٤ - ٥]، ولم يكتف المشركون بذلك الباطل، بل تنادوا بالتمسك به والصبر عليه والدعوة إليه، «وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾» [ص: ٦].

٤- وهكذا نرى في زماننا أهل الباطل يوالي بعضهم بعضًا على باطلهم، ويتهمون أهل الحق من دعاة الإسلام والداعين إلى تحكيمه في الحياة، أقول: يتهمونهم بأبشع التهم، منها الكذب والرغبة في السيطرة

والهيمنة، ويتهمونهم بالعمالة لجهات غير مصرية (أجنبية وعربية)، ويتهمونهم بنشر الفساد تمامًا كما قال فرعون عن موسى: «إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾» [غافر: ٢٦]. فلا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين.

رابعًا: نوازع الحق عند الرجل المؤمن:

هنا تحركت نوازع الحق عند الرجل المؤمن من آل فرعون، فقال كلمة الحق والعدل عند هذا الظالم الكافر: «وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾» [غافر: ٢٨].

١- قال ابن كثير - رحمه الله -: «وهذا الرجل هو ابن عم فرعون، وكان يكتم إيمانه من قومه خوفًا منهم على نفسه، وزعم بعض الناس أنه كان إسرائيليًا وهو بعيد». ونقل ابن جريج عن ابن عباس قوله: «لم يؤمن من القبط بموسى إلا هذا، والذي جاء من أقصى المدينة وامرأة فرعون». [ذكره السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم].

وهذا القول تأكيد للقول الأول، فسكان مصر في ذلك الوقت كانوا نوعين: أهل مصر الأصليون وهم الأقباط المشركون الوثنيون، ولم يؤمن منهم بموسى إلا هؤلاء الثلاثة الذين ذكرهم ابن عباس (رضي الله عنهما). والنوع الثاني: وهم بنو إسرائيل، وكانوا مستضعفين مستذلين عند أهل مصر، وقد آمنوا بموسى إلا قليلاً منهم، ونعم هذا الرجل كان يكتم إيمانه في البداية، ولكنه ما لبث إلا قليلاً بعدما رأى من إصرار القوم على باطلهم حتى أعلنها صريحة مدوية، وأفصح عن دعوته بما لا يدع مجالاً للشك، فقال: «وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾» [غافر: ٤١].

٢- هذا الرجل المؤمن من قوم فرعون ومن أقباط مصر القلائل الذين آمنوا بموسى، وكان يكتم إيمانه في أول الأمر، قال قولة عدل: «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ» [غافر: ٢٨]، وقد تلطف في حديثه مع فرعون طمعًا في أن يلين جانبه تجاه موسى، وقد صحّ في الحديث الذي أخرجه أبو داود وغيره عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال صلى الله عليه وسلم: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر» [أخرجه أبو داود (٤٣٤٤)، وابن ماجه (٤٠١١) وصححه الألباني].

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا من أعلى مراتب هذا المقام فإن فرعون لا أشد جورًا منه، وهذا الكلام لا أعدل منه». اهـ.

كيف تقتلون رجلاً من أجل قوله: ربي الله، وقد جاء بدليل واضح على صدق ما يقول: «وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ» [غافر: ٢٨]، فالرجل (يقصد موسى عليه السلام) لم يرتكب جُرْمًا يستحق العقاب عليه، بل جاءكم بدعوة أقام لكم عليها البراهين الواضحة، ومع ذلك فكذبه عليه وصدقه عليكم، وهذا كلام في غاية من الرشد والحكمة لو صادف آذانًا صاغية وقلوبًا واعية.

٣- ثم خاطبهم بلغة المشفق عليهم الحريص على مصلحتهم: «يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا» [غافر: ٢٩]، وكأن الرجل فتحت له رَوزنة من الغيب يرى منها بقلبه أحداث المستقبل، وهكذا يكون صدق الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب. قال ابن كثير رحمه الله: «وكذا وقع لآل فرعون، ما زالوا في شك وريب ومخالفة ومعاندة لما جاءهم به موسى حتى أخرجهم الله مما كانوا فيه من الملك والأملاك والدور والقصور، والنعمة والحبور ثم حولوا إلى البحر مهانين، ونقلت أرواحهم بعد العلو والرفعة إلى أسفل سافلين». اهـ.

الخامسة: موقف فرعون:

«يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾» [غافر: ٢٩].

هكذا كان جواب الطاغية المستبد لا يسمع إلا صوت نفسه، ولا يرى إلا رأيه مهما يكن من أمر حتى لو أدى به ذلك إلى هلاكه وهلاك جنده في الدنيا، وفي الآخرة إلى جهنم وبئس القرار، أعاذنا الله وإياكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، وإلى لقاء أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة استقبال الأموات لنفس المؤمن بعد قبضها

الحلقة (١٣٦)

إعداد / علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، ويحاول المتصوفة أن يتخذوها شاهدًا لقصة «عرض أعمال الأحياء على الأموات»، والتي خرجناها وحققناها وكشفنا عن علتها الخفية بجمع الطرق لمعرفة الراوي المبهم، وبمعرفته استبانت رتبته، وأنه متروك كذاب.

وفي هذا البحث سندحض حجج المتصوفة المتعلقة قلوبهم بأصحاب القبور، وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة:

أولاً: يُرْوَى عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ نفس المؤمن إذا قُبضت تلقاها مِنْ أهل الرحمة من عباد الله كما تَلَقَّوْنَ البشير في الدنيا، فيقولون: أنظروا صاحبكم يستريح، فإنه قد كان في كرب شديد، ثم يسألونه ماذا فعل فلان؟ وما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله، فيقول: أيهات قد مات ذاك قبلي، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذُهِبَ به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم وبئست المُربية».

قال: «وإن أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة، فإن كان خيرًا فرحوا واستبشروا، وقالوا: اللهم هذا فضلك ورحمتك فأتمم نعمتك عليه وأَمِتْهُ عليها، ويُعْرض عليهم عمل المسيء فيقولون: اللهم ألهمه عملاً صالحًا ترضى به عنه وتقربه إليك». اهـ.

ثانيًا: التخريج

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٩/٤) (ح٣٨٨٧) قال: «حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، ثنا عمرو بن الربيع بن طارق، حدثنا مسلمة بن علي، عن زيد بن واقد، عن مكحول، عن عبد الرحمن بن سلامة، عن أبي رُهْم السِّباعي عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعًا.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٣٠/١) (ح١٤٨) قال: «حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حَيَّان، قال: حدثنا محمد بن سفيان الحَضْرَميُّ، قال مَسْلمة بن عليّ، عن زيد بن واقد وهشام بن الغاز عن مكحول به، وقال الإمام الطبراني: «لم يروه عن مكحول إلا زيد بن واقد وهشام بن الغاز، تفرد به مَسْلَمة بن عليّ». اهـ.

ثالثًا: التحقيق

أورد هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٢٧/٢) وقال: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه مَسْلَمة بن علي وهو ضعيف». اهـ.

قُلْتُ: وإلى القارئ الكريم بيان درجة هذا الضعف:

١- مَسْلَمَة بن علي: أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٠٢/١٨/٦٥٥٠) وقال: «مَسْلمة بنْ علي بن خلف الخُشني أبو سعيد الدمشقي البلاطي كان يسكن البلاط قرية من قرى دمشق على نحو فرسخ منها، ثم ذكر خمسًا وثلاثين نفسًا روى عنهم مسلمة، منهم زيد بن واقد، وهشام بنْ الغاز، وهما اللذان روى مسلمة عنهما هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة كما بيَّنا آنفًا.

ثم ذكر أكثر من عشرين نفسًا رَوَوا عن مسلمة منهم عمرو بن الربيع بن طارق ومحمد بن سفيان الحضرمي، وهما اللذان رويا عن مسلمة هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة كما بينا آنفًا».

قلت: بهذا يتم تعيين اسم الراوي الذي هو علة هذا الخبر، وكذلك اسم أبيه وجده، وتنتهي أشهر نسبته ونسبه وكنيته ولقبه مع ضبط ما يشكل من ذلك بالحروف حتى نقف على مرتبته التي يختص بها من الجرح كما بينها علماء الجرح والتعديل.

٢- في «سؤالات أبي إسحاق إبراهيم بن الجنيد للإمام يحيى بن معين في الجرح والتعديل وعلل الحديث» (٣٨٥) قال: «سمعت يحيى يقول: الحسن بن يحيى الخشني، ومسلمة بن علي الخشني، ضعيفان، ليسا بشيء». اهـ.

٣- وفي «سؤالات عثمان بن سعيد الدارمي للإمام يحيى بن معين في تجريح الرواة وتعديلهم» (٧٥٦) قال: «قلت ليحيى بن معين: فمسلمة بن علي؟ فقال: ليس بشيء». اهـ.

٤- قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٣٨٨/١/٤)، ت(١٦٩٢): «مسلمة بن علي أبو سعيد الشامي الخشني منكر الحديث عن الأوزاعي».

قُلْتُ: وعندما نقل الإمام المزي في «تهذيب الكمال» قول الإمام البخاري في مسلمة لم يقيده؛ حيث قال: «قال البخاري وأبو زُرعة: منكر الحديث».

قُلْتُ: وقول الإمام البخاري في الراوي «منكر الحديث» مصطلح له معناه عند الإمام البخاري؛ حيث قال الإمام السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/١): «تنبيهات: البخاري يطلق: فيه نظر، وسكتوا عنه، فيمن تركوا حديثه، ويطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

٥- قال الإمام النسائي في (الضعفاء والمتروكين) (٥٧٠): «مسلمة بن علي الخشني: متروك الحديث».اهـ. قلت: وهذا المصطلح عند الإمام النسائي له معناه بينه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣) حيث قال: «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٦- أورده الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٦٨/١/٤) (ت١٢٢٢) وقال:

أ- مسلمة بن علي الشامي الدمشقي أبو سعيد الخشني حدثني أبي سمعت دحيمًا يقول: مسلمة بن علي الخشني ليس بشيء.

ب- سئل أبي عن مسلمة بن علي، فقال: ضعيف الحديث لا يُشتغل به.. هو في حد الترك، منكر الحديث.

جـ- سئل أبو زُرْعة عن سلمة بن علي، فقال: منكر الحديث.

٧- أورده الإمام الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (٥٢٦) وقال: «مَسْلمة بن علي الخُشني عن الأوزاعيِّ»، ولم يكتب أي عبارة من عبارات الجرح، فيظن من لا دراية له بمنهاج المحدثين في الجرح والتعديل أن الإمام الدارقطني سكت عنه، ولكن هيهات.

فمنهج الإمام الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» بيَّنه الإمام البرقاني في المقدمة؛ حيث قال: «طالت محاورتي مع ابن حمكان لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات». اهـ.

قلت: بهذا يتبين أن مجرد إثبات مسلمة بن علي في هذا الكتاب هو إجماع من الأئمة البرقاني وابن حمكان والدارقطني على تركه، وهذه قواعد مهمة جدًا لا بد من التنبيه عليها، والتنبه إليها.

٨- أورده الإمام ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٣١٣/٦) (١٧٩٩/١٧٨) وقال: مسلمة بن علي أبو سعيد الخشني الشامي، حدثنا محمد، حدثنا عثمان بن سعيد، قلت ليحيى بن معين: فمسلمة بن علي؟ قال: ليس بشيء».

ثم أخرج قول الإمام البخاري في مسلمة وقول الإمام النسائي، ثم أخرج عدة أحاديث من مناكير مسلمة بن علي في مائة وثلاثين سطرًا بلغت ثلاثين حديثًا منكرًا، ثم ختم الإمام ابن عدي ترجمة مسلمة بن علي قال: «ولمسلمة غير ما ذكرت من الحديث، وكل أحاديثه: ما ذكرته وما لم أذكره، كلها أو عامتها غير محفوظة». اهـ.

قلت: وفي قول الإمام ابن عدي رد على فرية المستشرقين وأتباعهم ممن لا دراية لهم بالصناعة الحديثية؛ حيث إنهم من إفكهم ليقولون: إن علماء الحديث تناولوا بالنقد الأسانيدَ وتركوا المتنَ، وهذا يدل على أن أبصارهم غشاوة، فلم يَرَوْا أمثال هذه الترجمة، فبعد أن تكلم الإمام ابن عدي على مسلمة بن علي في خمسة أسطر تناول فيها أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، أتبعها بمائة وثلاثين سطرًا لثلاثين حديثًا ناقدًا متونها.

وعلى سبيل المثال لا الحصر من بين هذه الأحاديث لمسلمة حديث النهي عن التقنع، وحديث قصة خلق الأنهار (سيحون، وجيحون، ودجلة، والفرات، والنيل)، قال الإمام ابن عدي:

«هذان الحديثان» أحدهما رواه مسلمة عن مقاتل، والثاني رواه عن عمر بن صبيح عن مقاتل جميعًا غير محفوظين، بل هما منكرا المتن». اهـ.

٩- لذلك أورده الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٣٣/٣) وقال: «مسلمة بن علي الخشني كنيته أبو سعيد من أهل دمشق، كان ممن يقلب الأسانيد، ويروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم توهمًا فلما فحش ذلك منه بطل الاحتجاج به». اهـ.

ثم أورد أحاديث منكرة تدل على بطلان الاحتجاج به، وأنه كان يقلب الأسانيد، ويروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم.

وباستقراء منهج الإمام ابن حبان في «المجروحين» نجده يقول في الراوي الذي يفعل هذا: «كان ممن يروي عن الثقات الأشياء المقلوبات حتى إذا سمعها المبتدئ في الصناعة علم أنه لا أصول لها». كذا في «المجروحين» (٣٥/٣) هذا هو نقد أئمة الصناعة للمتون، ولكنّ المستشرقين واتباعهم لا يفقهون.

١٠- نقل الإمام الذهبي في «الميزان» (١٠٩/٤/٨٥٢٧) أقوال أئمة الجرح والتعديل وأقرها قال: «مسلمة بن عليّ الخشني؛ شامي، واه، تركوه، قال دُحيم: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: لا يشّتغل به، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك، وقال ابن عدي: عامة أحاديثه غير محفوظة». اهـ.

قلت: إلى غير ذلك من قلبه للأسانيد، وروايته عن الثقات ما ليس من أحاديثهم وفحش ذلك منه، وترك الاحتجاج به، إلى غير ذلك من أقوال أئمة الجرح والتعديل كما بينا آنفا، وبهذا تصبح هذه القصة واهية والخبر الذي جاءت به باطل.

رابعا: طريق آخر للقصة

وحتى لا يتقول علينا متقول مدعيًا أن هناك طريقًا آخر لهذه القصة، فإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذا الطريق:

فقد أخرج هذا الطريق الإمام ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٣٠٠/٣) (٧٦٦/٣٤) قال: حدثنا أحمد بن عمير بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن إسرائيل هو الرملي، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا سلام التميمي، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أبي رُهم عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن إذا مات..» القصة.

ومن نفس الطريق ذكر القصة الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٣٣٦/١).

خامسا: تحقيق هذا الطريق

هذا الطريق الذي جاءت به القصة تالف وعلته: سلام التميمي، وعند تخريج هذا الاسم حتى نقف على مرتبته التي بها تعرف درجة القصة من هذا الطريق وجدنا أن سلامًا هذا يطلق على أبيه أكثر من اسم:

١- فالإمام الدارقطني وهو من جهابذة الصنعة من رجال وعلل تقرر بينه وبين الإمامين البرقاني وابن حمكان في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (٢٦٥): «سَلاّم بن سُليمان، وقيل ابن سلمان، وقيل: ابن سالم».

قلت: وتبين أنه «سلام التميمي كما سنأتي ببرهان ذلك مع أنهم لم يذكروه بهذه الصفة التميمي».

٢- وذكره الإمام النسائي في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (٢٣٧) وقال: «سلام بن سُليم». وتبين أنه «سلام التميمي» كما سنبرهن على ذلك أيضا مع أنه لم يذكره بهذه الصفة التميمي، ولا غيرها.

٣- وذكره الإمام البخاري في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (١٥٢) قال: «سلام بن سُليم» وتبين أنه سلام التميمي مع أن الإمام البخاري لم يذكره بهذه الصفة.

٤- وفي «الجرح والتعديل» (١/٢/٢٦٠/١١٢٢) لابن أبي حاتم قال: «سألت أبي عن سَلاّم بن سَلْم؟» وتبين أنه سلام التميمي كما سنبين ذلك مع أن الإمام ابن أبي حاتم لم يذكره في سؤاله بهذا الصفة (التميمي) كذلك أبوه في إجابته.

٥- لذلك قال الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٢٢٢/٨/٢٦٣٧): «سلام بن سَلْم، ويقال: ابن سُلَيْم، ويقال: ابن سُليمان». اهـ.

قلت: ومع الجهد الشديد لتعدد اسم الأب، ووجوده بهذا التعدد عند جهابذة الجرح والتعديل، وجدنا أمرًا آخر، وهو اتفاق أسماء رواة آخرين مع اسمه واسم أبيه المتعدد فنجد تعددًا في اسم الراوي (سَلاّم بن سُليم)، وتعدداً في اسم الراوي (سلام بن سليمان)، والباحث أمام هذا التعدد من المشتركين في اسم الراوي واسم أبيه مع اختلاف مراتبهم يركز بحثه حول تحديد الراوي صاحب هذه القصة، وفائدة ضبطه: الأمن من اللبس، فربما ظن الأشخاص شخصًا واحدًا، وربما يكون أحد المشتركين ثقة والآخر ضعيفًا، فيضعف ما هو صحيح، ويصحح ما هو ضعيف». اهـ.

سادسا: تطبيق قواعد المتفق والمفترق

لقد بينا أن علة القصة: سلام التميمي وهو سلام بن سُليم وقيل ابن سليمان وقيل ابن سَلْم، وسلاّم بن سُليم علة هذه القصة يتفق اسمه واسم أبيه هذا مع سلاّم بن سليم الثقة المتقن، وطرق التمييز كما هي

مبينة في الجداول:
الكنية، أو النسب، أو النسبة أو اللقب، وكذلك بمعرفة شيخ الراوي أو تلميذه.
معرفة سلام بن سليم راوي القصة:
أ- من سند القصة نجد سلامًا روى عن ثور بن يزيد الرَّحبي، وهو شيخ سلام بن سليم التميمي السعدي أبو سليمان بن المدائني الطويل، ولم يرو عنه أبو حفص سلام بن سليم الكوفي الحنفي.
ب- من سند القصة: نجد سلامًا روى عنه أسد بن موسى، وهو تلميذ سلام بن سليم التميمي السعدي المدائني الطويل راوي هذه القصة الواهية.
٢- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٥٢): «سلام بن سليم السعدي الطويل عن زيد العمِّي، تركوه».
٣- قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١/٣٣٥): «يروي عن الثقات الموضوعات». اهـ.
٤- وفي «سؤالات إبراهيم بن الجنيد للإمام يحيى بن معين» (٨٧١) قال: «سألت يحيى عن سلام بن سَلْم الطويل المدائني؟ فقال: «ليس بشيء». اهـ.
٥- وفي «رواية أبي خالد الدقاق يزيد بن الهيثم بن طهمان عن الإمام يحيى بن معين» (٣٧٧) قال: سمعت يحيى يقول: «سلام الطويل ليس بثقة». اهـ.
قلت: وسلام راوي هذه القصة المتروك الكذاب، وأكثر علماء الجرح والتعديل يعرفونه بلقبه أو نسبه أو نسبته؛ حيث إن سلامًا يقال له ابن سليم أو ابن سَلْم، فنجد أن الإمام يحيى بن معين يقول: «سلام الطويل ليس بثقة».
٦- وفي «الجرح والتعديل» (١/٢/ ٢٦٠/١١٢٢) لابن أبي حاتم قال: «سألت أبي عن سلام بن سلم فقال: هو سلام الطويل، ضعيف الحديث تركوه». اهـ.
٧- وقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» سئل أبو زُرعة عن سلام بن سلم فقال: هو سلام الطويل ضعيف الحديث.
٨- قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١/٣٤٢): «سَلاَّم بن سُليم أو سَلْم، أبو سليمان، ويقال له الطويل المدائني متروك». اهـ.
٩- قال الإمام الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (٢٦٥): «سلاَّم بن سليمان وقيل: ابن سلمان، وقيل: ابن سَالم الطويل المدائني متروك عن زيد العمي».
قلت: هذا الاسم الذي أثبته في هذا الكتاب ثلاثة من كبار أئمة الصنعة، وهم الإمام البرقاني والإمام ابن حمكان واتفقوا على تركه كما بيَّنا آنفًا، لذلك قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٨/٢٢٢/٢٦٣٧): «سلام بن سَلم، ويقال: ابن سليم، ويقال ابن سليمان». اهـ.
قلت: ويشترك معه في هذا الاسم اثنان:
أ- سلام بن سليمان: وهو أبو العباس المدائني الضرير، وقد ينسب إلى جده سَوَّار، وروى له ابن ماجه» كذا في «تهذيب الكمال» (٨/٢٢٦/٢٦٣٩).
ب- والآخر: سلام بن سليمان: وهو المُزني أبو المنذر القارئ النحوي الكوفي، روى له الترمذي والنسائي كذا في «تهذيب الكمال» (٨/٢٢٨/٢٦٤٠).
قلت: لذلك تظهر أهمية علم «المتفق والمفترق» خاصة إذا أُطلق على الأب أكثر من اسم، ويتفق معه في كل إطلاق رواة، وانظر إلى صنيع الإمام الدارقطني ومعه الإمامان البرقاني وابن حمكان واتخذوا اللقب والنسبة وشيخه الذي روى عنه للتفريق عند الاتفاق في اسم الراوي واسم أبيه كما هو مبين في الجدول الذي أوردناه آنفًا.
١٠- وقال عبد الله بن علي بن المديني: وسألته يعني أباه عن سلام بن سليمان فضعفه» نقله الإمام المزي في «تهذيب الكمال» ترجمة سلام الطويل.
١١- وقال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش: متروك، وقال في موضع آخر: «كذاب»، كذا نقله المزي في «تهذيب الكمال» ترجمة سلام الطويل (٢٦٣٧).
قلت: وبهذا التحقيق يتبين أن علة الطريق الذي جاءت به هذه القصة سلام الطويل التميمي السعدي المدائني أبو سليمان ليس بثقة وليس بشيء متروك، كذاب، يروي عن الثقات الموضوعات.

ثامنًا: قاعدة مهمة جدًا

«لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا؛ لأن الضعيف يتفاوت، فمنه ما لا يزول بالمتابعات، يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين».

تاسعًا: تطبيق القاعدة

سلام الطويل الذي هو علة الخبر الذي جاءت به القصة من هذا الطريق: متروك كذاب يروي عن الثقات الموضوعات، فهو يزيد القصة وهنًا على وهن.

عاشرًا: عدم صلاحية الشاهد

بتطبيق هذه القاعدة على النصف الأخير من الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية بطريقيها التالفين المنسوبين كذبًا لأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه مرفوعًا: «إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات». القصة.
وفي الطريقين من المتروكين والكذابين كما بينا، فهي تزيد قصة (عرض أعمال الأحياء على الأموات) في الخبر المنسوب لأنس بن مالك مرفوعًا، وكشفنا علتها في العدد السابق، وتبين أنه أبان بن أبي عياش المتروك الكذاب، لا تزيدها إلا وهنًا على وهن، وبهذا نقطع كل الطرق على المتصوفة في تعلقهم بالأموات نذرًا ودعاءً.
هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

وقفات شرعية مع تطبيق الشريعة الإسلامية

الحلقة السادسة



إعداد/ المستشار أحمد السيد علي

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُعبد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تعبد، وبعدُ:

فما يزال الحديث موصولاً عن الشبهات المثارة على حد الزنا، ونتكلم بمشيئة الله تعالى عن الشبهات المثارة حول حد الرجم:

فرقت الشريعة الإسلامية بين صنفين من الزناة، وجعلت لكل واحد منهما عقوبة خاصة به، فالمحصن (هو الذي سبق له الزواج ودخل بزوجته) عقوبته الرجم، وغير المحصن عقوبته الجلد مائة جلدة، وقد أقر بالجلد - لو روده بالقرآن - الجميع، وأنكر الرجم الخوارج والمعتزلة، وسار على دربهم اليوم القرآنيون، فأثاروا شبهات عدة، تنكر مشروعيته، وتدعي أنه أكذوبة لا وجود لها في الإسلام، وسنعرض شبهاتهم ونرد عليهم، لنبين بطلانها، ومخالفتها للقرآن والسنة والإجماع.

أولاً: تعريف الرجم:

أ- لغة:

جاء في القاموس المحيط: الرجم بمعني القتل، والقذف، والغيب، والظن، والخيل، والنديم، واللعن، والشتم، والهجران، والطرد ورمي بالحجارة، واسم ما يرجم به.

ب- شرعًا: قتل الزاني رميًا بالحجارة.

ثانيًا: أدلة مشروعية الرجم:

ثبتت مشروعية الرجم بالقرآن والسنة وفعل الصحابة والإجماع.

أولاً: القرآن الكريم:

أ- الأدلة العامة:

قال الله تعالى: «مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٧)» [الحشر: ٧]، والرجم مما آتاناه الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال: «إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥)» [النساء: ١٠٥]، والرجم مما أراه الله لنبيه وأراه النبي لأمته. وقال: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا (٦٥)» [النساء: ٦٥]، وإقامة الرجم تحكيم لشريعته صلى الله عليه وسلم.

ب- الأدلة الخاصة:

١- قال الله تعالى: «وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [النساء: ١٥]، وقد بين الله السبيل، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه -يعني الوحي- كرب لذلك وتربد له وجهه. قال: فأنزل عليه ذات يوم. فلقي كذلك فلما سري عنه قال: «خذوا عني، فقد جعل الله لهن سبيلا، الثيب بالثيب والبكر بالبكر، الثيب جلد مائة، ثم رجم بالحجارة، والبكر جلد مائة ثم نفي سنة». وفي رواية: بهذا الإسناد، غير أن في حديثهما: «البكر يجلد وينفى، والثيب يجلد ويرجم» لا يذكران: سنة ولا مائة». [رواه مسلم ١٦٩٠].

٢- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال عمر بن الخطاب، وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قد بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن، من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف. [أخرجه مسلم].

وجه الدلالة:

قول عمر رضي الله عنه: «وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم»، وقوله: «وإن الرجم في كتاب الله حق»، يدل على أن الرجم كان موجودًا بلفظه وحكمه في كتاب الله، فنسخ لفظه، وبقي حكمه يطبق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الآخر، وهو أفقه منه: نعم، فاقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قل». قال: إن ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني؛ أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله؛ الوليدة والغنم رد، وعلى ابنك جلد مائة، وتغريب عام، واغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها». قال: فغدا عليها، فاعترفت، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرُجمت. [متفق عليه].

وجه الدلالة: قول الرجل: «أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله»، وقول الرجل الآخر: «نعم فاقض بيننا بكتاب الله»، وتأكيد النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله... واغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها». قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «المراد بكتاب الله ما حكم به، وكتب على عباده، وقيل المراد القرآن وهو المتبادر». وقال رحمه الله: «ويحتمل أن يراد بكتاب الله الآية التي نسخت تلاوتها» الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم».

ثانيًا: السنة النبوية:

أ- السنة القولية:

١- حديث عبادة السابق وفيه: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب، جلد مائة والرجم». [رواه مسلم].

ب- السنة الفعلية:

تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أقام حد الرجم على العديد من الصحابة، ومنها:

١- ماعز، والغامدية، فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: «إن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني قد ظلمت نفسي وزنيت، فرده الثانية، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه فقال: أتعلمون بعقله بأسًا تنكرون منه شيئًا؟ فقالوا: ما نعلمه إلا وفي العقل من صالحينا، فيما يرى، فأتاه الثالثة، فأرسل إليهم أيضًا فسأل عنه فأخبروه، أنه لا بأس به ولا بعقله، فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمر به فرُجم. قال: فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله، إني قد زنيت فطهرني، وإنه ردّها، فلما كان الغد قالت: يا رسول الله، لمَ تردني؟ لعلك تريد أن تردني كما رددت ماعزًا، فوالله إني لحبلى، قال: إما لا، فاذهبي حتى تلدي، فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته، قال: اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه. فلما فطمته أتته

بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا، يا نبي الله، قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحُفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فيقبل خالد بن الوليد بحجر، فرمي رأسها، فتنضح الدم على وجه خالد، فسبها، فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم سبّه إياها. فقال: «مهلا يا خالد، فوالذي نفسي بيده، لقد تابت توبة، لو تابها صاحب مكس لغفر له»، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت». [رواه مسلم ١٦٩٥].

٢- المرأة التي رجمها أنيس: والسابق ذكرها في حديث أبي هريرة المتفق عليه.

٣- رجم اليهوديين: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أُتيَ النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامرأة من اليهود قد زنيا، فقال لليهود: ما تصنعون بهما. قالوا: نسخم وجوههما ونخزيهما، قال: «فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين». فجاؤوا، فقالوا لرجل ممن يرضون أعور: اقرأ، فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها، فوضع يده عليه، قال: «ارفع يدك». فرفع يده فإذا فيه آية الرجم تلوح، فقال: يا محمد، إن عليهما الرجم، ولكنا نتكاتمه بيننا، فأمر بهما فرجما، فرأيته يجانئ عليها الحجارة». [رواه البخاري ٧٥٤٣].

ثالثاً: فعل الصحابة:

١- قول عمر بن الخطاب في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما سالف البيان، وفيه: «فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده». [رواه مسلم]. والمعلوم أن أبا بكر كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وعمر، وقول عمر: «رجمنا بعده» تشعر بوجود الرجم في عهد أبي بكر، ثم عهد عمر رضي الله عنهما.

٢- عن علي رضي الله عنه، حين رجم المرأة يوم الجمعة، وقال: قد رجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. [رواه البخاري]. وفي رواية: «أنه جلد شراحة يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال: جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم». [رواه أحمد ١٥٠/٢ والبخاري].

رابعاً: الإجماع:

قال ابن المنذر في كتابه الإجماع: «وأجمعوا على أن الحر إذا تزوج تزويجًا صحيحًا، ووطئها في الفرج، أنه محصن يجب عليهما الرجم إذا زنيا».

خامساً: الحكمة من تشريع الرجم على الزاني المحصن:

قال ابن القيم في إعلام الموقعين: وأما الزاني فإنه يزني بجميع بدنه، والتلذذ بقضاء شهوته يعم البدن، والغالب من فعله وقوعه برضا المزني بها، فهو غير خائف ما يخافه السارق من الطلب، فعوقب بما يعم بدنه من الجلد مرة والقتل بالحجارة مرة؛ ولما كان الزنا من أمهات الجرائم وكبائر المعاصي لما فيه من اختلاط الأنساب الذي يبطل معه التعارف والتناصر على إحياء الدين، وفي هذا هلاك الحرث والنسل فشاكل في معانيه أو في أكثرها القتل الذي فيه هلاك ذلك، فزجر عنه بالقصاص ليرتدع عن مثل فعله من يهم به، فيعود ذلك بعمارة الدنيا وصلاح العالم الموصل إلى إقامة العبادات الموصلة إلى نعيم الآخرة، ثم إن للزاني حالتين: إحداهما: أن يكون محصنًا قد تزوج، فعلم ما يقع به العفاف عن الفروج المحرمة واستغنى به عنها، وأحرز نفسه عن التعرض لحد الزنى، فزال عذره من جميع الوجوه في تخطي ذلك إلى مواقعة الحرام. والثانية: أن يكون بكرًا، لم يعلم ما علمه المحصن ولا عمل ما عمله فحصل له من العذر بعض ما أوجب له التخفيف فحقن دمه، وزُجر بإعلام جميع بدنه بأعلى أنواع الجلد ردعًا عن المعاودة للاستمتاع بالحرام وبعثًا له على القنع بما رزقه الله الحلال، وهذا في غاية الحكمة والمصلحة جامع للتخفيف في موضعه والتغليظ في موضعه. اهـ.

وقال الشيخ عطية سالم في شرح الأربعين النووية: «الخلاصة أن البكر إذا زنت تجلد مائة جلدة، والثيب إذا زنت رُجمت، الزنا واحد، والإيلاج واحد، وقضاء الوطر واحد، فلماذا اختلف الحكم؟ ونجد البعض يقول: إن البكر لم يتذوق أمر النكاح، حكم الثيب دون البكر؟ أقول: إن الذي يتتبع مقاصد الشريعة يجد أن الحكمة فيما جاء به الشرع؛ لأن الثيب غالبًا ما تكون ذات زوج، والبكر لا زوج لها، فإذا زنت البكر وحملت، وظهر حملها وجاء ولدها، هل يمكن أن يلصق بأحد؟ لا، متميز بذاته، ولكن الثيب إذا زنت وحملت من غير زوجها، فإنها تلحق بزوجها من ليس منه، إذن جرم الثيب أكبر وجرأة الثيب في التساهل أكثر؛ لأنها ترى عليها غطاءً يسترها ألا وهو زوجها، والبكر لا تجد ذلك». اهـ.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

حسن الظن بالله

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله الذي هدانا إليه صراطاً مستقيماً، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي بعثه ربه هادياً، ومبشراً، ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، أما بعد: فإن سوء الظن قد انتشر بين كثير من المسلمين، وهو من أمراض القلوب التي حذرنا منها الله تعالى في كتابه العزيز، وكذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في سُنته المباركة. من أجل ذلك أحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بضرورة إحسان الظن بالمسلمين، واجتناب إساءة الظن بهم، لعل الله تعالى أن يؤلف بين قلوبنا، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

أولاً: حُسن الظن

معنى حسن الظَّنّ:

ترجيح جانب الخير على جانب الشر. [موسوعة نضرة النعيم جـ٥صـ١٥٩٧].

وجُوب حُسْن الظَّنّ بالله، وَخَاصَّةً عِنْدَ المَوت:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً. [البخاري حديث: ٧٤٠٥، مسلم حديث:٢٦٧٥].

قال الإمام القُرْطُبِيُّ (رحمهُ الله): قيل مَعْنَى ظَنِّ عَبْدِي بِي ظَنُّ الْإِجَابَةِ عِنْدَ الدُّعَاءِ، وَظَنُّ الْقَبُولِ عِنْدَ التَّوْبَةِ وَظَنُّ الْمَغْفِرَةِ عِنْدَ الِاسْتِغْفَارِ، وَظَنُّ الْمُجَازَاةِ عِنْدَ فِعْلِ الْعِبَادَةِ بِشُرُوطِهَا تَمَسُّكًا بِصَادِقِ وَعْدِهِ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْقِيَامِ بِمَا عَلَيْهِ مُوقِنًا بِأَنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهُ وَيَغْفِرُ لَهُ لِأَنَّهُ وَعَدَ بِذَلِكَ وَهُوَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، فَإِنِ اعْتَقَدَ أَوْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُهَا وَأَنَّهَا لَا تَنْفَعُهُ فَهَذَا هُوَ الْيَأْسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ وُكِلَ إِلَى مَا ظَنَّ كَمَا فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ فَلْيَظُنَّ بِي عَبْدِي مَا شَاءَ، وَأَمَّا ظَنُّ الْمَغْفِرَةِ مَعَ الْإِصْرَارِ فَذَلِكَ مَحْضُ الْجَهْلِ وَالْغِرَّةِ، وَهُوَ يَجُرُّ إِلَى مَذْهَبِ الْمُرْجِئَةِ (الذين يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية) [فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ١٣صـ٣٩٧].

- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلاثَةِ أَيَّامٍ، يَقُولُ: «لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ» [مسلم حديث:٢٨٧٧].

قال الإمام النووي رحمه الله: قال العلماء: هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة. [مسلم بشرح النووي جـ١٧صـ٢٠٩].

- عَنْ أَنَسِ بنِ مالك، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» قَالَ: أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ» [صحيح سنن ابن ماجه للألباني حديث ٣٤٣٦].

حسن الظن بالله يكون مع حُسن العمل:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «لاَ رَيْبَ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْإِحْسَانِ، فَإِنَّ الْمُحسنَ حَسَنُ الظَّنِّ بِرَبِّهِ أَنْ يُجَازِيَهُ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَلَا يُخْلِفَ وَعْدَهُ، وَيَقْبَلَ تَوْبَتَهُ. وَأَمَّا الْمُسِيءُ الْمُصِرُّ عَلَى الْكَبَائِرِ وَالظُّلْمِ وَالْمُخَالَفَاتِ فَإِنَّ وَحْشَةَ الْمَعَاصِي وَالظُّلْمِ وَالْحَرَامِ تَمْنَعُهُ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِرَبِّهِ، وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي الشَّاهِدِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ الْآبِقَ الْخَارِجَ عَنْ طَاعَةِ سَيِّدِهِ لَا يُحْسِنُ الظَّنَّ بِهِ، وَلَا يُجَامِعُ وَحْشَةَ الْإِسَاءَةِ إِحْسَانُ الظَّنِّ أَبَدًا، فَإِنَّ الْمُسِيءَ مُسْتَوْحِشٌ بِقَدْرِ إِسَاءَتِهِ، وَأَحْسَنُ النَّاسِ ظَنًّا بِرَبِّهِ أَطْوَعُهُمْ لَهُ. كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَحْسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ فَأَحْسَنَ الْعَمَلَ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ أَسَاءَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ فَأَسَاءَ الْعَمَلَ. وَكَيْفَ يَكُونُ مُحْسِنَ الظَّنِّ بِرَبِّهِ مَنْ هُوَ شَارِدٌ عَنْهُ، حَالٌ مُرْتَحِل فِي مَسَاخِطِهِ وَمَا يُغْضِبُهُ، مُتَعَرِّضٌ لِلَعْنَتِهِ قَدْ هَانَ حَقُّهُ وَأَمْرُهُ عَلَيْهِ فَأَضَاعَهُ، وَهَانَ نَهْيُهُ عَلَيْهِ فَارْتَكَبَهُ وَأَصَرَّ عَلَيْهِ؟ وَكَيْفَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ مَنْ بَارَزَهُ بِالْمُحَارَبَةِ، وَعَادَى أَوْلِيَاءَهُ، وَوَالَى أَعْدَاءَهُ، وَجَحَدَ صِفَاتِ كَمَالِهِ، وَأَسَاءَ الظَّنَّ بِمَا وَصَفَ بِهِ

نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ به رَسُولُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَظَنَّ بِجَهْلِه أَنَّ ظاهِرَ ذلكَ ضَلالٌ وَكُفْرٌ؟ وَكَيْفَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّه مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ لا يَتَكَلَّمُ وَلا يَأْمُرُ وَلا يَنْهَى وَلا يَرْضَى وَلا يَغْضَبُ؟

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ في حَقِّ مَنْ شَكَّ في تَعَلُّقِ سَمْعِه بِبَعْضِ الْجُزْئِيَّاتِ، وَهُوَ السِّرُّ مِنَ الْقَوْلِ: «وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ» [سُورَةُ فُصِّلَتْ: ٢٣]. فَهَؤُلاءِ لَمَّا ظَنُّوا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لا يَعْلَمُ كثيرًا ممَّا يَعْمَلُونَ، كَانَ هَذا إِسَاءَةً لِظَنِّهِمْ بِرَبِّهِمْ، فَأَرْدَاهُمْ ذَلِكَ الظَّنُّ، وَهَذا شَأْنُ كُلِّ مَنْ جَحَدَ صِفَاتِ كَمالِه، وَنُعُوتَ جَلالِه، وَوَصَفَهُ بِمَا لا يَلِيقُ بِه، فَإِذا ظَنَّ هَذَا أَنَّهُ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ كَانَ هَذَا غُرُورًا وَخِدَاعًا مِنْ نَفْسِه، وَتَسْوِيلاً مِنَ الشَّيْطَانِ، لا إِحْسَانَ ظَنٍّ بِرَبِّه. فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْضِعَ، وَتَأَمَّلْ شِدَّةَ الْحَاجَةِ إِلَيْه، وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ في قَلْبِ الْعَبْدِ تَيَقُّنُهُ بِأَنَّهُ مُلاقِ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ وَيَرَى مَكَانَهُ، وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَعَلانِيَتَهُ، وَلا يَخْفَى عَلَيْه خَافِيَةٌ مِنْ أَمْرِه، وَأَنَّهُ مَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيْه، وَمَسْئُولٌ عَنْ كُلِّ مَا عَمِلَ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَسَاخِطِه مُضَيِّعٌ لأَوَامِرِه، مُعَطِّلٌ لِحُقُوقِه، وَهُوَ مَعَ هَذَا يُحْسِنُ الظَّنَّ بِه، وَهَلْ هَذَا إلا مِنْ خِدَعِ النُّفُوسِ، وَغُرُورِ الأَمَانِيِّ؟» [الجواب الكافي لابن القيم صـ٢٥:٢٦].

أقوال سلفنا الصالح في حسن الظن بالله:

١- قَالَ عَبْدُ اللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ لا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّه عَزَّ وَجَلَّ الظَّنَّ إلا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ظَنَّهُ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ». [حسن الظن لابن أبي الدنيا صـ٥٩].

٢- قَالَ عبد الله بن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إذا رَأَيْتُمْ الرجل قد نزل به الْمَوْت فبشروه حَتَّى يَلقى ربه وَهُوَ حسن الظَّن بِاللَّه تَعَالَى وَإِذا كَانَ حَيا فخوفوه بربه واذْكُرُوا لَهُ شدَّة عِقَابه. [العاقبة في ذكر الموت لابن الخراط صـ١٤٥].

٣- حسن ظن الزبير بن العوام:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الجَمَلِ دَعَانِي، فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِه فَقَالَ: يَا بُنَيِّ، إِنَّهُ لاَ يُقْتَلُ اليَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وَإِنِّي لاَ أُرَانِي إِلَّا سَأُقْتَلُ اليَوْمَ مَظْلُومًا، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي، أَفَتُرَى يُبْقِي دَيْنُنَا مِنْ مَالِنَا شَيْئًا؟ فَقَالَ: يَا بُنَيِّ بِعْ مَالَنَا، فَاقْضِ دَيْنِي، وَأَوْصَى بِالثُّلُثِ، وَثُلُثِه لِبَنِيه - يَعْنِي بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - يَقُولُ: ثُلُثُ الثُّلُثِ، فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا فَضْلٌ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَيْءٌ، فَثُلُثُهُ لِوَلَدِكَ «، وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ، قَدْ وَازَى بَعْضَ بَنِي الزُّبَيْرِ، خُبَيْبٌ، وَعَبَّادٌ وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ، وَتِسْعُ بَنَاتٍ -، قَالَ عَبْدُ اللَّه: فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِه، وَيَقُولُ: «يَا بُنَيِّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلاَيَ»، قَالَ: فَوَاللَّه مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَةِ مَنْ مَوْلاَكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِه، إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ. [البخاري حديث:٣١٢٩].

٤- قَالَ الشَّعْبِيُّ: لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ كَلامًا عَلَى أَعْوَادِه هَذِه حَسَدْتُهُ عَلَيْه سَمِعْتُهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّ ذُنُوبِي عَظُمَتْ فَجَلَّتْ عَنِ الصِّفَةِ، وَإِنَّهَا صَغِيرَةٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ فَاعْفُ عَنِّي. [حسن الظن لابن أبي الدنيا صـ٧٣].

شبهة والرد عليها:

ظَنَّ كَثِيرٌ مِنَ الْجُهَّالِ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّه وَالاعْتِمَادَ عَلَى سَعَةِ عَفْوِه وَرَحْمَتِه مَعَ تَعْطِيلِ الأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي كَافٍ، وَهَذا خَطَأٌ قَبِيحٌ وَجَهْلٌ فَضِيحٌ، فَإِنَّ رَجَاءَكَ لِمَرْحَمَةِ مَنْ لا تُطِيعُهُ مِنَ الْخِذْلانِ وَالْحُمْقِ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَنْ قَطَعَ عُضْوًا مِنْكَ فِي الدُّنْيَا بِسَرِقَةِ رُبْعِ دِينَارٍ لا تَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ عُقُوبَتُهُ فِي الآخِرَةِ عَلَى نَحْوِ هَذَا. وَلَمْ يُفَرِّقْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّي. وَالْفَرْقُ أَنَّ الرَّجَاءَ يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الْجَهْدِ وَاسْتِفْرَاغِ الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ فِي الإِتْيَانِ بِأَسْبَابِ الظَّفَرِ وَالْفَوْزِ. وَالتَّمَنِّي حَدِيثُ النَّفْسِ بِحُصُولِ ذَلِكَ مَعَ تَعْطِيلِ الأَسْبَابِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَيْه. قَالَ تَعَالَى: « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ » [البقرة: ٢١٨]، فَطَوَى سُبْحَانَهُ بِسَاطَ الرَّجَاءِ إلا عَنْ هَؤُلاءِ وَأَمْثَالِهِمْ. [غذاء الألباب لمحمد بن أحمد السفاريني جـ١صـ٤٦٨].

فوائد حُسن الظن:

(١) طريق موصل إلى الجنَّة.

(٢) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(٣) يولد الألفة والمحبَّة بين المسلمين.

(٤) يهيئ المجتمع الصالح المتماسك ويحقق التعاون بين أفراده.

(٥) برهان على سلامة القلب وطهارة النفس.

(٦) علامة على حسن الخاتمة.

(٧) لا يأتي إلا عن معرفة قدر الله ومدى مغفرته ورحمته.

(٨) يحافظ على أعراض المسلمين.

[موسوعة نضرة النعيم جـ٥صـ١٦٠٨].

والحمد لله رب العالمين

باب الفقه

الصلاة وأحكامها

شروط الصَّلاة

الحلقة الأولى

إعداد / حمدي طه

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عبده المصطفى، أما بعد..

للصلاة شروط تتوقف عليها صحتها، فلا تصح إلا بها، وشروط يتوقف عليها وجوبها، فلا تجب إلا بها، وقد اختلفت اصطلاحات المذاهب في بيان هذه الشروط، وعددها.

والشرط في اللغة: هو العلامة، وفي الشريعة: هو ما يتوقف عليه وجود الشيء، وكان خارجاً عن حقيقته أو ماهيته.

والشروط نوعان: شروط تكليف أو وجوب، وشروط صحة أو أداء.

وشروط الوجوب: هي ما يتوقف عليها وجوب الصلاة كالبلوغ عاقلاً.

وشروط الصحة: هي ما يتوقف عليها صحة الصلاة كالطهارة. هذا عند الجمهور. والمالكية قالوا: تنقسم شروط الصلاة إلى ثلاثة أقسام: شروط وجوب فقط، وشروط صحة فقط، وشروط وجوب وصحة معًا. [الفقه على المذاهب الأربعة ١٧٨/١].

أولاً: شروط وجوب الصلاة:

تجب الصلاة على كل مسلم بالغ عاقل، لا مانع عنده كالحيض والنفاس عند النساء، فتكون شروط وجوب الصلاة هي:

١ - الإسلام: تجب الصلاة على كل مسلم ذكر أو أنثى، فلا تجب على كافر عند الجمهور وجوب مطالبة بها في الدنيا؛ لعدم صحتها منه، لكن تجب عليه وجوب عقاب عليها في الآخرة، لتمكنه من فعلها باعتناق الإسلام؛ لأن الكافر عند الجمهور مخاطب بفروع الشريعة أو الإسلام في حال كفره. ولا تجب عند الحنفية على الكافر، بناء على مبدئهم في أن الكافر غير مطالب بفروع الشريعة، لا في حكم الدنيا ولا في حكم الآخرة ولا قضاء بالاتفاق على الكافر إذا أسلم؛ لقوله تعالى: «قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف» [الأنفال:٣٨]؛ ولقوله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام يجبُّ ما قبله» [أحمد والبيهقي وصححه الألباني] أي يقطعه، والمراد أنه يذهب أثر المعاصي التي قارفها حال كفره. أما المرتد فيلزمه عند غير الحنفية قضاء الصلاة بعد إسلامه تغليظاً عليه، ولأنه التزمها بالإسلام، فلا تسقط عنه بالجحود كحقوق الآدميين المالية. ولا قضاء عليه عند الحنفية كالكافر الأصلي.[الفقه الإسلامي وأدلته: ٦٣٩/١].

٢ - البلوغ: فلا تجب الصلاة على الصبي؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم» [أبو داود وصححه الألباني]. ولكن يؤمر الصغير ذكراً أو أنثى بالصلاة، تعويداً له، إذا بلغ سبع سنين أي صار مميزاً، ويضرب عليها لعشر ضرباً خفيفاً؛ ليتعود عليها؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع» [أبو داود وصححه الألباني].

قال أهل العلم: إن التكاليف الشرعية وإن كانت كلها مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد، والعقلاء لا يجدون حرجاً في القيام بها بعد التكليف، ولكن العادة لها حكمها، فقد يعلم الإنسان من فوائد الصلاة المادية والأدبية ما فيه الكفاية في حمله على أدائها، ولكن عدم تعوده على فعلها يقعد به عن القيام بأدائها. [الفقه على المذاهب الأربعة ١٧٨/١].

٣- العقل: فلا تجب الصلاة عند الجمهور غير

الحنابلة على المجنون والمعتوه ونحوهما كالمغمى عليه إلا إذا أفاقوا في بقية الوقت؛ لأن العقل مناط التكليف، كما ثبت في الحديث السابق: «عن المجنون حتى يبرأ» [أبو داود وصححه الألباني]، لكن يسن لهم القضاء عند الشافعية. وقال الحنابلة: يجب القضاء على من تغطى عقله بمرض أو إغماء أو دواء مباح؛ لأن ذلك لا يسقط الصوم، فكذا الصلاة.

ويجب القضاء على السكران؛ لتعديه بالسكر. ويجب القضاء على نائم ويجب إعلامه إذا ضاق الوقت، ودليل القضاء حديث: «من نام عن صلاة أو نسيها، فليصلها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك» [أبو داود وصححه الألباني]، [الفقه الإسلامي وأدلته: ١/ ٦٤٠].

قال النووي في المجموع: ويسن إيقاظ النائم للصلاة ولا سيما إذا ضاق وقتها، ففي سنن أبي داود «أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوماً إلى الصلاة، فلم يمر بنائم إلا أيقظه»، وكذا إذا رآه أمام المصلين، أو كان نائماً في الصف الأول، أو محراب المسجد،، أو كان نائماً بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس، أو كان نائماً قبل صلاة العشاء، أو بعد صلاة العصر، ويستحب أن يوقظ غيره لصلاة الليل. [المجموع للنووي ٣/ ٧٤].

٤- خلو المرأة من الموانع: فلا تجب الصلاة على المرأة إذا كانت حائضًا أو نفساء، ولا تؤمر بقضائها بعد انتهاء فترة الحيض والنفاس؛ لحديث معاذة رضي الله عنها: أنها سألت عائشة رضي الله عنها: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: كان يصيبنا ذلك مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة) [أخرجه مسلم] وهذا الشرط محل اتفاق بين الفقهاء.

ثانيا: شروط صحة الصلاة:

هي تلك الشروط التي لا تصح الصلاة بدونها.

١- الإسلام والعقل والتمييز وهي شروط وجوب كما سبق، وهي أيضاً شروط صحة، فلا تصح الصلاة من الكافر؛ لقوله تعالى: «وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ» [التوبة:٥٤]، فبين المولى عز وجل أن عدم الإيمان كان سبباً في عدم قبول أعمالهم، فالإيمان شرط صحة لسائر العبادات، وهذا محل اتفاق بين أهل العلم. وكذلك لا تصح صلاة غير العاقل كالمجنون؛ لأن العقل مناط التكليف؛ ولقوله صلى الله عليه وسلم (رفع عن القلم عن ثلاث....» الحديث [أبو داود وصححه الألباني].

والصبي غير المميز لا تصح صلاته؛ لأنه وإن كان عنده آلة الفهم وهي العقل إلا أنه ليس عنده الفهم بالفعل وهو التمييز، فلا يستطيع تمييز أعمال الصلاة، ولا فهمها، لذلك لم تصح منه؛ لأن العلم بالمنوي وأحكامه شرط لصحة العبادة، وهذا الشرط محل اتفاق أيضاً بين العلماء.

٢- معرفة دخول الوقت: لا تصح الصلاة بدون معرفة الوقت يقيناً أو ظناً بالاجتهاد، فمن تيقن أو غلب على ظنه دخول الوقت أبيحت له الصلاة، سواء كان ذلك بإخبار الثقة، أو أذان المؤذن المؤتمن، أو الاجتهاد الشخصي أو أي سبب من الأسباب التي يحصل بها العلم.[فقه السنة ١/]. وهذا بالإجماع، فالصلوات لها أوقات محددة شرعاً [شرح الزاد للحمد ٤/١]، فمن صلى بدونها لم تصح صلاته، وإن وقعت في الوقت، لتكون عبادته بنية جازمة، لا شك فيها، فمن شك لم تصح صلاته؛ لأن الشك ليس بجازم. والدليل: هو قوله تعالى: «فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾» [النساء:١٠٣]، أي فرضاً مؤقتاً محدوداً بوقت. وقد سبق بحث مواقيت الصلاة. [الفقه الإسلامي وأدلته: ٦٤٢/١].

(٣) الطهارة من الحدث الاصغر والاكبر لقول الله تعالى: «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ» إلى قوله تعالى: «يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾» [المائدة: ٦].ووجه الدلالة: أن الله تعالى أمر . إذا قمنا إلى الصَّلاة . بالوُضُوء من الحدث الأصغر، والغُسل من الجنابة، والتيمُّم عند العدم، وبَيَّن أن الحكمةَ في ذلك التطهير. إذاً؛ الإنسان قبل ذلك غيرُ طاهر، ومن كان غيرَ طاهر فإنه غيرُ لائق أن يكون قائماً بين يدي الله عزَّ وجل. ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يقبل الله صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول) رواه الجماعة إلا البخاري. قول النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «لا يقبل الله صلاةَ أحدِكُم إذا أحدثَ حتى يتوضَّأ»، وهذا نصٌّ صريحٌ يدل على أن الطهارة من الحدث شرط في صحة الصلاة (فقه السنة ١٢٣/١، الشرح الممتع ٩٨/٢)

وللحديث بقية إن شاء الله.

طلب العلم والدورات العلمية المكثفة

إعداد / محمد الصادق

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصابرين ومعلم المتقين محب التوابين، لا إله غيره ولا رب سواه، علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأمر بالعلم وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالزيادة منه، فقال سبحانه: «وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا» [طه:١١٤]، وأصلي وأسلم على خير خلقه محمد نبي الرحمة، المعلم الأول الذي جعل الخيرة فيمن تعلم وعلم، فقال صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» [متفق عليه].

كان اللقاء الماضي عن فضل تعلم العلم وآداب طالب العلم، وكان منها أن تسلك طرق التعلم المناسبة، ومن هذه الطرق الدورات العلمية المكثفة.

الدورات العلمية: هي مجموعة دروس متنوعة مكثفة، تُعقد في وقت محدود، قد يطول أو يقصر، حسب الخطة الموضوعة لذلك، ويخرج المدعو (الطالب) منها بحصيلة علمية جيدة.

مميزاتها:

الأولى: خروج طالب العلم بحصيلة علمية جيدة في كثير من العلوم، في وقتٍ قصير.

الثانية: شغْل وقت الشباب، وبخاصة أوقات العُطل بما يعود عليهم وعلى المجتمع بالنفع.

الثالثة: تنوع التلقي من مصادر متفاوتة.

الرابعة: تسهيل طلب العلم، لمن لا يتيسر له عبر المؤسسات العلمية الرسمية؛ كالجامعات وغيرها.

سلبياتها:

يؤخذ على هذه الدورات السلبيات التالية:

الأولى: أنها تتم بدون تخطيط مسبق بعيد المدى يكون مثلا على ثلاث أو أربع سنوات، بحيث يوضع منهج علمي لهذه السنوات بحيث يعرف الطالب أنه سيدرس في السنة الأولى في العقيدة مثلاً الأصول الثلاثة ، وفي السنة الثانية للدورة سيدرس جزءًا من كتاب التوحيد، وهكذا.

الثانية: عدم التنسيق المبكر للدورة، وعدم إعداد الكتب اللازمة، وعدم الترتيب مع العلماء الذين سيقومون بعملية التدريس.

وهذا الأمر يحل بإذن الله:

١- بأن نبدأ في الإعداد قبل موعد الدورة بستة أشهر تقريبًا، وذلك بأن يتم تحديد الشيخ الذي سيدرس الكتاب الفلاني حتى مواعيده، ويستعد بإعداد المادة العلمية التي تناسب الدورات المكثفة.

٢- تحديد لجنة لاختيار الكتب حسب الخطة البعيدة المدى وإعدادها.

٣- تحديد لجنة للتنسيق مع أهل العلم حسب التخصص.

٤- اختيار مكان الدورة، ويكون المكان مناسبًا من جهة السعة، وتوسط المكان للمنطقة إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه مفصلاً بعض هذه الأمور السلبية مع علاجها.

ومع ذلك؛ فإن زيادة هذه الدورات وتكثيرها وتكميلها مطلوب؛ لما فيها من خير عظيم، ونفع كبير.

وأنقل لك هنا أخي الكريم بعض ما قاله أهل العلم من معلومات تساعدنا في إعداد دورات علمية مكثفة وناجحة بإذن الله تعالى.

ومن أفضل من تكلم في هذا الموضوع وفصله الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في رسالته الوصايا الجلية للاستفادة من الدورات العلمية، وفيها ذكر: أن هذه الدورات العلمية لها أركان أربعة، وهي:

الأول: التنظيمُ المناسِبُ الذي يسبقُ تلكَ الدروسَ العلمية.

الثاني: وجودُ المعلم (الشيخ).

الثالث: وجودُ المتعلمينَ الراغبين الجادِّينَ.

الرابع: وجودُ المكان المناسب الذي يصلح لإقامة الدورات التي يحضرها عَددٌ كبير لمدة وجيزة.

الركن الأول: التنظيم المناسب:

لا شك أن عظم الفائدة من هذه الدروس يكون في التنظيم الجيد، والإعداد المبكر، وبذلك تحصل الفائدة من هذه الدورات أو الدروس.

والتنظيمُ هو ترتيبُ الوضع المناسب لهذه الدروس.

والمُنَظِّمُ لا بدّ له أن ينظر إلى حاجة طلبة العلم، وحاجة الشباب الذين يحضرون هذه الدروس.

وهذه الحاجة تختلف باختلاف المكان والزمان، وباختلاف المعلمين، والمقررات التي يتعلمها الطلبة، فينظر في المكان، وهو البلد، والمسجد.

وفي الزمان، فدورات الشتاء غيرُ دورات الصيف ترتيبًا ووقتًا.

وأمر مهم في التنظيم: هو أن يرتب المنظمون الدورة مع مَن سبقوا في فهم ما يحتاج إليه في الدورات.

مثلًا: اختيار بلد ما لإقامة دورة فيه لأول مرة، سواء كان في مدينة أو قرية، فيحسن أن يستشيروا من أقام دورات ناجحة، ودروسًا علمية ناجحة؛ لأن المؤمن يستشير، وما خاب من استشار.

فلا بدّ من النظر في حال الدورات التي نجحت، كيف نجحت؟

والمهم من الدورات أن يعتني المنظمون في إفادة الطلاب.

الركن الثاني: المعلِّم، هو الشيخُ الذي سيلقي الدورس:

ولا شك أن المشايخ يختلفون في استعداداتهم؛ لأن الله - جل وعلا - وهب الناس مواهب، وقد يهب المتأخر ما فات على المتقدم، وقد يهب الصغير ما لم يدركه الكبير، وقد يكون المتوسط في السن أقرب إلى الشباب من جهة إلقاء الدروس.

قد يُعطى متنٌ لمدة وجيزة، قد يكون هذا المتن يمكن تدريسه في سنة، على أن يكون في كل أسبوع درسٌ، وينجح من يدرِّسه، فلو كانت المدة أسبوعًا ربما لم يستطع ذلك الذي يستطيع إنهاءه في سنة، فيشرح ثلاث ورقات، أو أربع ورقات ثم يترك أكثر من ثلثي المتن بلا شرح، لذا يحسن في العلم أن يقسم المتن على الزمن، فعلى المعلم أن يرتب الزمن، وألا ينساق وراء المعلومة فينقضي الزمنُ، ولم يُنْهِ من الكتاب إلا صفحة أو صفحتين.

فإذن اختيار المعلم مهم، ومن متطلبات المعلم:

- أن يكون متمكنا في المادة العلمية، وأن تكونَ ملكته قابلة، ولغته قريبة واضحة.

- وأن يكون مبتعدًا عن التقعر في الكلام، والتشدق.

والنبي صلى الله عليه وسلم أُوتي جوامع الكلم، فإن كان الكلام مختصرًا مفيدًا فهمه العامي والذكي والبليدُ، والحاضر والبادي.

المقصود في الدروس العلمية نقلُ العلم كما نقله العلماءُ، والعلمُ في هذه الأمة: قال الله، وقال رسوله، وقال الصحابة، وقال أهل العلم.

الركن الثالث: المتعلِّم:

هو طالب العلم الذي يحضر الدورات، وله صفاتٌ وخصال وسماتٌ، ويجب أن يتحلى بأخلاق أهل العلم وطلاب العلم التي ذكرنا بها في اللقاء الماضي مع بعض النصائح الأخرى، ومنها:

أولا: إعداد العدة، كالقلم والورق:

فالقلم يتعاهدهُ قبل الدرس، ومن القصور أن يحضر الطالبُ، وينسى القلم، أو يكون فارغا من الحبر، وأما الورق كان يعدّ لكل مادة دفترًا أو دفاتر، وتكون منسقة، مرتبة، وهذا كله يتبع ترتيب الذهن.

فإذا كان الطالب مشوشا في ذهنه ظهر أثر ذلك في علمه ودفاتره.

وينبغي للطالب ألا يكتب عددًا من العلوم في كراسة واحدة، وأن يبتعد عن كتابة الحواشي على الكتاب، فتتزاحَم الكتابة فلا يهتدي إلى ما يريد الرجوع إليه.

لهذا سُئل الإمام أحمد عن الكتابة بالخط الصغير، قال: أكرهه؛ لأنه لا يدري متى يُحتاج إليه، فربما احتاج إليه فلم يستطع إستخراجه، وهذا صحيح.

وأما الكتابة في الكراريس فلها نظام يأخذُ المتن الذي يدرسه بأن يجعل عليه أرقامًا متسلسلة، من واحد إلى الأخير، وكل مسألة علق عليها المعلم يجعلها في صفحة مستقلة، ويكتب تعليقا آخر في صفحة مستقلة.

ثانيًا: تحضير الدرس تحضيرًا جيدًا.

كيف يحضر والدروس متوالية ومتتابعة؟

يكون تحضيره بحفظ المتن قبل سماع الشرح من الشيخ، وبذلك يتكون تكوينًا علميًا صحيحًا.

ويكون تحضيره بالنظر في المسائل التي يحتاج إليها، بأن يقرأ أسطرًا أو صفحة فيلحظ المسائل الغريبة فيستعد لفهمها من المعلم، ولا يشترط أن يكون تحضيرُ الطالب كتحضير المعلم.

ثالثًا: كتابة الفوائد من المعلم:

ولا يتكل الطالب على ما سجل في الدورات السابقة.

وعلى الطالب ألا يقول: لا داعي إلى الكتابة، والتسجيل موجود، وهذا غلط كبير يقع فيه بعض الطلاب، وكتابة الطالب مع الشيخ مؤثرة في استعداداته العلمية، وفي سلوكه العلمي كما ينبغي، فلا بد للعلم من مشقة ومكابدة ومجاهدة.

الركن الرابع وهو وجود المكان المناسب:

الذي يصلح لإقامة الدورة لا بد أن يكون المسجد مناسبًا من حيث مكانه، فيكون المكان سهل الوصول إليه، ويتسع لأكبر عدد ممكن، ويكون متوسطا بالنسبة للمنطقة، وإدارته تكون إدارة واعية حريصة مشهودًا لها بحسن الترتيب مع الدقة في ذلك.

هذا الكلام قد يستفاد منه في تنظيم الأسابيع الثقافية التي تقام في كثير من المساجد، ولكن ينصح ببعض الأمور الخاصة بهذه الأسابيع:

١- أن يكون لكل أسبوع موضوع معين.

٢- يحدد لكل داعية جزء من هذا الموضوع.

٣- أن يكون فيما يحتاجه الناس.

هذا، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وفي اللقاء القادم - إن شاء الله - يكون الكلام عن طريقة أخرى من طرق تعلم العلم الشرعي. والحمد لله رب العالمين.

من الآداب الإسلامية

الأدب مع الصحابة

إعداد / سعيد عامر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فما يزال الحديث متصلاً عن الأدب مع الصحابة، وقد تقدم الحديث عن تعريف الصحابي، وفضل الصحابة، ثم فضل المهاجرين والأنصار، وثناء الله عز وجل على المهاجرين والأنصار، وفي هذا اللقاء نكمل بمشيئة الله تعالى فنقول وبالله تعالى التوفيق:

خامسًا: تحريم سب الصحابة، رضي الله عنهم:

الكلام عن الصحابة رضي الله عنهم يتطلب صفاءً في العقيدة، وإخلاصًا في النية، والفحص الدقيق لكل ما يُنشر عنهم، والأمانة في النقل، والفهم الدقيق، حتى نعرف قدر هؤلاء ومكان هؤلاء.

فالصحابة لهم حقوق على الأمة، ومن هذه الحقوق:

- الاعتراف بما ثبت من فضلهم وفضائلهم، وسلامة القلوب من بغضهم أو الغل والحقد على أحد منهم.

- محبتهم بالقلب والثناء عليهم باللسان، بما لهم من السبق وما ثبت لهم من الفضل.

- التلقي عنهم وحُسن التأسي بهم في العلم والعمل، والدعوة والأمر والنهي، فهم أعلم الأمة بمراد الله تعالى في كلامه، ومراد الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته، وأبعد الأمة عن الهوى والبدعة.

- والترحم عليهم والاستغفار لهم.

- الكف عن الخوض فيما شجر بينهم من خلاف، واعتقاد أنهم مجتهدون مأجورون.

- الحذر من إشاعة ما قد نُسب إلى أحد منهم من مساوئ، فإن جملته كذب مختلق من أهل الأهواء والعصبية والغلو.

- اعتقاد حرمة سبهم أو أحد منهم، ولعنهم أشد حرمة؛ لأن ذلك من تكذيب الله تعالى في تزكيتهم والثناء عليهم ووعدهم بالحسنى، ولما فيه من سوء أدب مع النبي صلى الله عليه وسلم الذي نهى عن سبهم، ولما فيه من ظلمهم والتعدي عليهم وهم خاصة أولياء الله تعالى بعد النبيين والمرسلين. [راجع: الإصابة في فضائل وحقوق الصحابة: د. عبد الله بن صالح القصير].

وسب الصحابة رضوان الله عليهم دركات بعضها شر من بعض، فمن سبَّ بالكفر أو الفسق، ومن سب بأمور دنيوية كالبخل، وضعف الرأي، وهذا السب إما أن يكون لجميعهم أو أكثرهم، أو يكون لبعضهم أو لفرد منهم، إلى غير ذلك.

وسب الصحابة مطلقًا حرام بالكتاب والسنة:

قال الله عز وجل: «وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا» [الحجرات:١٢]، وأدنى أحوال السابِّ لهم أن يكون مغتابًا.

وقال الله تعالى: «وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١» [الهمزة:١].

وقال سبحانه وتعالى: «وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾» [الأحزاب:٥٨].

والصحابة رضي الله عنهم هم صدور المؤمنين، فإنهم هم المواجهون بالخطاب، ولم يكتسبوا ما يوجب أذاهم؛ لأن الله رضي عنهم رضا مطلقًا، «وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾» [سورة التوبة:١٠٠].

فرضي عن السابقين من غير شرط إحسان، ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان، وقال الله عز وجل: «لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾» [الفتح:١٨].

والرضا من الله صفة عظيمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضا، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبدًا.

يقول الإمام الذهبي: «إنما يعرف فضائل الصحابة - رضي الله عنهم - من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد موته، من السابقة إلى الإيمان، والمجاهدة للكفار، ونشر الدين، وإظهار شعائر الإسلام، وإعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه، وسننه، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضا ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا.

فمن طعن فيهم أو سبَّهم فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحُبهم.

ولأنهم أرْضَى الوسائل المأثورة، والوسائط المنقول، والطعن في الوسائط طعن في الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق والزندقة، والإلحاد في عقيدته. [راجع الكبائر للذهبي، كبيرة سب الصحابة].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» [متفق عليه].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تبارك وتعالى اختارني، واختار لي أصحابًا، فجعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل». [رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي]، وقد ضعفه الألباني في الضعيفة (٣٦/٧ رقم ٣٠٣٧)]. و«الصرف»: النافلة، والعدل: الفريضة.

وذلك مما لا نعلم فيه خلافًا بين أهل العلم عقوبة من أساء فيهم القول، قال الإمام أحمد رحمه الله: ومن الحجة الواضحة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعين، والكف عن ذكر مساويهم، والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو واحدًا منهم أو تنقّص أو طعن عليهم، أو عرَّض بعيبهم، أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث، مخالف لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً، بل حُبهم سُنّة والدعاء لهم قُربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم خير الناس، لا يجوز أن يذكر شيء من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص. [راجع السنة للإمام أحمد ص٧٨].

حكم من سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله من سبَّ أصحابي». وفي رواية لابن عباس رضي الله عنهما: «من سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». [رواه الطبراني في الكبير، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ٥١١١].

وينقسم سب الصحابة إلى قسمين:

الأول: من سب الصحابة سبًا يقدح في عدالتهم بالكفر أو الردة أو الفسق، فهذا كافر مرتد عن الإسلام؛ لأن الطعن في النَّقلة طعن في المنقول، وهذا إيذاء، والإيذاء لهم إيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأذى الرسول صلى

الله عليه وسلم كفر، كما هو مقرر.

ونصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة دالة على فضلهم، والرضا عنهم والثناء عليهم، وهي نصوص قطعية، ومن أنكر ما هو قطعي فقد كفر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا نفرًا قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضًا في كفره؛ لأنه مكذّب لما نصه القرآن في غير موضع، من الرضا عنهم، والثناء عليهم، ثم قال: وكفر هذا مما يُعلم بالاضطرار من دين الإسلام». [راجع الصارم المسلول ص٥٨٦].

قال الخرشي: من رمى عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه، أو أنكر صحبة أبي بكر، أو إسلام العشرة، أو إسلام جميع الصحابة، أو كفر الأربعة أو واحدًا منهم، كفر. [راجع الخرشي على مختصر خليل].

الثاني: من سب الصحابة سبًا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم:

لا شك أن فاعل ذلك يستحق التعزير والتأديب.

قال ابن تيمية – رحمه الله –: وأما إن سبهم سبًا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن، أو قلة الحلم أو عدم الزهد ونحو ذلك، فهو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من العلماء. [راجع الصارم المسلول ص٥٨٦].

قال الإمام النووي رحمه الله: واعلم أن سب الصحابة – رضي الله عنهم – حرام من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب، متأولون، قال القاضي: وسب أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يُعزر ولا يقتل، وقال بعض المالكية: يقتل. [شرح مسلم: ٥/٤٠٠، وراجع فتح الباري: ٧/٣٦].

وأما من لعن وقبح، فهذا محل خلاف بين العلماء، لتردد الأمر بين لعن الغيظ، ولعن الاعتقاد.

والذي أوصي به نفسي وإخواني الباحثين في تاريخ الصحابة، ألا يتخلوا عن عقيدتهم، ومنها الاعتقاد بعدالة الصحابة، وتحريم سبهم، ولأهل السنة منهج واضح في النظر في تاريخ الصحابة، فيا ليتنا نعرف قدر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ونعيش، بل ونتعايش مع كل لحظة، عاشوها في البذل والعطاء والتضحية، والفداء بالنفس والمال والولد، ولنعلم أنهم استحقوا أن ينالوا رضوان الله ومحبته وجنته، ونسير على خطاهم، فنبذل الغالي والنفيس من أجل إعلاء كلمة: «لا إله إلا الله» في الكون كله.

ونكون بذلك قد صدقنا مع الله الذي قال في حق الصحابة: «مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾» [الأحزاب:٢٣].

فنكون ممن ينتظر فيفتح الله لنا القلوب والأسماع، وينشر بنا الخير والإيمان في أرجاء الكون، ويتحقق موعود الله عز وجل: «إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» [محمد:٧].

فنسأل الله أن يجمعنا بالحبيب صلى الله عليه وسلم وبأصحابه في الفردوس الأعلى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إشهار فروع أنصار السنة

تم بحمد الله تعالى إشهار فروع أنصار السنة التالية - وفقاً للقانون رقم ٨٤ لسنه ٢٠٠٢م -:

١ - جمعية أنصار السنة المحمدية، فرع منية المكرم، بناحية منية المكرم، مركز فاقوس، محافظة الشرقية، تحت رقم (١٧٨) تاريخ: ٢٠١١/١٠/٢م.

٢ - جمعية أنصار السنة المحمدية، فرع مفارق أبو نصار، محافظة الشرقية، تحت رقم (٢٣٨٥) بتاريخ: ٢٠١١/١١/١٣م.

٣ - جمعية أنصار السنة المحمدية ، فرع كرداسة محافظة الجيزة تحت رقم (٤٢١٢) بتاريخ:٢٠١١/١١/٢٧م.

بركات تطبيق الشريعة الإسلامية

إعداد/ شوقي عبد الصادق

الحمد لله منزل الكتاب، مجري السحاب، هازم الأحزاب، والصلاة والسلام على رحمة الله العزيز الوهاب وبعدُ:

مفهوم كثير من الناس أن تطبيق الشريعة هو تطبيق الحدود المعروفة كحد السرقة وحد الزنا وحد القتل وحد الحرابة مثلاً، ويختزلوا الشريعة في ذلك، ويرجف المرجفون والمنافقون في أنحاء البلاد تخويفًا للناس من تلك الحدود، لكن الشريعة ليست هي الحدود فقط، بل هي كل ما شرعه الله سبحانه: «شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾» [الشورى:١٣].

والشريعة هي كل ما ورد في الكتاب والسنة، وكلاهما واجب تبليغه والعمل به: والشريعة تشمل العقيدة والسلوك والأخلاق والعبادات القولية والفعلية، وكل هذا ورد في القرآن والسنة، وأمرنا بتطبيقه وإقامته في الخلق وفي جميع مناحي الحياة: «وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾» [البينة:٥].

وبإقامة الدين وتطبيق تحصل البركات للأفراد والجماعات فمن هذه البركات على سبيل المثال لا الحصر.

أولاً: بركات التوحيد:

التوحيد هو أُس الدين وأساسه وذروة سنامه ولا بركة في عبادات ولا نفقات ولا معاملات عارية من قصد وجه الله سبحانه أي توحيد القصد، ولا قيام للجماعات والشعوب المسلمة مادامت تَطْلبُ من غير الله، وهو توحيد الطلب، ولا عدل ولا إنصاف إذا لم يكن الحكم لله، فكما أنه سبحانه له الخلق فله سبحانه الأمر، فلا حلال إلا ما أحله الله ورسوله، ولا حرام إلا ما حرم الله ورسوله وتتجلى بركات التوحيد في أهم أمرين في حياة الناس وهما الأمن والشبع «لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾» [قريش:٣].

والشاهد من الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى تفضّل على قريش وهم على شرك بأن أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، فأمرهم بأداء شكر هاتين النعمتين بأن يوحدوه، فيكون توحيده سبحانه هو سبب استغناء المسلمين عن عدوهم في طعامهم، وأمنهم من هذا العدو وهذا من بركات التوحيد وإقامة الشرع على هذا التوحيد.

ثانيًا: بركات حفظ القرآن:

بمجرد حفظ دستور الشريعة في الصدور تحصل البركات، «بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾» [العنكبوت:٤٩]، وعن أبي أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرؤوا القرآن فإنه شافع لأصحابه يوم القيامة، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تجادل عن أهلهما، ثم قال: اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة». [مسلم: ٨٠٤]. هذه البركة لمجرد حفظ سورة البقرة، فكيف لو طبقت أحكامها، فكيف إذا حفظ القرآن كله وطبقت أحكامه.

ثالثًا: بركة تطبيق الشريعة في البيوع والمعاملات:

قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا

﴿تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾» [النساء:٢٩]، عن حكيم بن حزام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا - أو قال حتى يفترقا - فإن صدقا وبينا بُورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما». [اللؤلؤ والمرجان: ٩٨٠].

وجميع معاملات الناس المرئية والمحسوسة وغير المحسوسة مبنية على جودة ما يتعاملون به ويبيعونه، فالطبيب يبيع خبرته في معرفة الداء، وكذا المهندس وكذا المدرس والمحامي والمحاسب لذلك جاء النص شاملاً لكل المعاملات بالبيع في قوله: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾» [الجمعة:٩].

رابعا: بركات تطبيق الشريعة في الأمور اليومية العادية:

قال الله تعالى: «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾» [الأحزاب:٢١]، والناس يأكلون ليلاً ونهارًا ولكن يأتي السحور هذه الوجبة المباركة بتطبيق الشريعة، وإحياء فريضة الصوم فتكون البركة في هذه الوجبة التي تعين على الصيام في اليوم التالي، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تسحروا فإن في السحور بركة». [البخاري: ١٩٢٣، ومسلم: ٢٦٠٣].

وتطبيق السنة في كيفية تناول الطعام والاجتماع عليه فيه البركة في الطعام والأجر للأكلة الذين يطبقون الشريعة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه». [سنن الترمذي: ١٨٠٥، وصححه الألباني].

وشكى بعض الصحابة أنهم يأكلون ولا يشبعون فأمرهم بتطبيق الشريعة في أمر الطعام اليومي، فعن وحشي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع، قال: «فلعلكم تأكلون متفرقين». قالوا: نعم. قال: «فاجتمعوا على طعامكم واذكروا الله عليه يبارك لكم فيه». [سنن ابن ماجه ٢٨٦، وحسنه الألباني].

ويفهم من البركة أن الطعام القليل يكفي الكثير من الأكلة، وأن الطعام يفيد الأبدان لا يمرضها لأنه مبارك.

خامسا: بركات تطبيق الشريعة في شئون الأسرة:

قال الله تعالى: «وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾» [الروم:٢١]، فالزوجة يسكن إليها ومنها الولد وباستقامتها وبركتها تكون الأسرة مباركة وشرع الدين القيم للناس تيسير النكاح حتى ينالوا البركة، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيرُ النكاح أيسره». [الصحيحة: ١٨٤٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها». [الإرواء: ٦/٣٥٠].

والمغالاة في الصداق تنفي البركة وتجلب شؤم المرأة، إنها بركة التزام الشريعة في شأن الأسرة الزوجة المباركة تسعد زوجها وتلد أولاداً مباركين، وتربيهم تربية مباركة.

سادساً: بركات تطبيق الشريعة في شئون المال والاستثمار

قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾» [البقرة:٢٧٨]، فإما ترك الربا وإما حرب من الله ورسوله على عباده، وإن كانوا مؤمنين كما في أول الآية والحرب تأتي بالدمار والخراب النفسي والمادي والمعنوي، والخراب الإيماني والسلوكي والتربوي وترشدنا السنة إلى استثمارات مباركة في مجالات مختلفة من الثروة الحيوانية والاستثمار الزراعي فعن أم هانئ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتخذوا الغنم فإن فيها بركة». [مسند أحمد ٢٧٤١].

وبوب البخاري في صحيحه: باب بركة النخل وساق حديث ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من الشجرة شجرة تكون مِثْلَ المسلم وهي النخلة». [البخاري: ٦١، ٦٢، ٧٢].

وكل هذه الاستثمارات ميسورة في بلادنا وفيها بركة، وتمنع الشريعة الاستثمارات الأخرى مادامت منضبطة بأحكام الشرع الحنيف وبتطبيق الشرع تفيض الخيرات من كل الجهات: «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢)» [الطلاق:٢]، وقال تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥)» [المائدة:٦٥].

والشاهد من الآية الكريمة أنه إذا أقيم القرآن الذي أنزل إلينا من ربنا والسنة التي نطق بها رسولنا لأكلنا من فوقنا ومن تحت أرجلنا، دون حاجة إلى بشر، بل نحن نعطي البشر من خيرات ما عندنا، قال الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: «قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥)» [يوسف:٥٥]، قال سعيد بن منصور: سمعت مالك بن أنس رضي الله عنه يقول: مصر خزانة الأرض، أما سمعت إلى قوله: «اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ» [يوسف:٥٥]. [القرطبي: ٩/٢١٣].

وإذا كنا نصلي ونصوم ونزكي ونحج، فليس كل هذا هو الدين، بل هي الأركان التي بني عليها الدين، أما الدين فهو كل ما شرعه رب العالمين: «شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣)» [الشورى:١٣] أي: طبقوا الشرع في جميع أمور حياتكم التعبدية والعقدية والسلوكية والأخلاقية والمعاملاتية.

سابعا: بركات الشريعة تنال الأعداء المخالفين:

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)» [محمد:٧]، والجهاد ذروة سنام هذا الدين، وإذا قامت سوق الجهاد ورُفعت رايته كما رفعت أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين نالت بركات الشريعة المخالفين لهم؛ لأن الجهاد في الإسلام ليس غاية بل هو وسيلة لغاية، وهي أن يكون الدين كله لله، عن عائشة رضي الله عنها في ذكرها لزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بجويرية بنت الحارث أنها جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله في كتابتها حتى تتحرر من قيس بن ثابت؛ لأنها وقعت في الأسر، وفي سهم قيس بن ثابت رضي الله عنه، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك، قالت: قد فعلت، فتسامع الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج جويرية، فأرسلوا ما في أيديهم من السبي، فأعتقوهم وقالوا: أصهار رسول الله!! فما رأينا امرأة أعظم بركة على قومها منها أُعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق». [سنن أبي داود ٣٩٣٣، وحسنه الألباني].

هؤلاء هم أسرى في أيدي المسلمين الرافعين لراية الجهاد يُعتقون؛ لأنهم أهل امرأة من قومهم تزوجها رسول الإسلام، إنها بركة الشريعة العظيمة على هؤلاء الناس، يدخلون في الإسلام لما أسروا وأحسن المسلمون معاملتهم، وأعتقوهم بسبب مصاهرة النبي صلى الله عليه وسلم لهم، فكم من امرأة كانت بركة مثل جويرية بنت الحارث رضي الله عنها؟ والآن وقد ركدت سوق الجهاد، ونكست رايته فكم من امرأة شؤم على قومها!!

والأعجب من هذا ما رواه البخاري في باب الأسارى في السلاسل برقم (٢٧٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل». وهؤلاء الناس أسرى وقعوا في أيدي المسلمين المطبقين للشريعة الرافعين

لراية الجهاد، وجيء بهم إلى ديار المسلمين في السلاسل، ولكن لما رأوا الدين واقعًا حيًا ملموسًا، وشاهدوا المسلمين يعملون بقرآنهم ويعيشون بدينهم، أحب هؤلاء الأسرى الإسلام فدخلوا فيه، وماتوا عليه وصاروا إلى الجنة، وهم في الأصل كانوا محاربين مخالفين جيء بهم في السلاسل.

ثامنًا: الأمن والأمان وطيب العيش من بركات تطبيق الشريعة

الأمن والأمان وطيب العيش من أعظم متطلبات الناس في كل زمان ومكان، وكل هذا مرتبط بتطبيق الشرع، والشاهد على ذلك أن من فعل هذا نال وعد الله ووعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، ومتى تحقق الشرط تحقق الوعد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله لينزلن ابن مريم حكمًا عادلاً؛ فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، وليتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد». [مختصر مسلم: ٢٠٥٩].

- القلاص: جمع قلوص، وهي الشابة من الإبل أي يزهد فيها الناس وهي أحب أموال العرب، وعيسى عليه السلام يحكم بشريعة الإسلام، ويقيم العدل بهذه الشريعة لا بشريعة جديدة، ويصلي صلاة المسلمين خلف إمام من المسلمين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم، وإمامكم منكم». [مختصر مسلم: ٢٠٦٠].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة». [مختصر مسلم: ٢٠٦١].

وعندما تسود الشريعة في زمان حكم المسيح وعدله يتحقق الوعد الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رغب الرسول بقوله: «طوبى لعيش بعد المسيح يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النبات حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبتت، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره، ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض». [صحيح الجامع: ٣٩١٩].

والشريعة موجودة الآن قبل نزول المسيح، فلماذا لا تطبق حتى يتحقق العيش الطيب والأمن بين الإنسان والأسود والحيات، «وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾» [الروم:٦].

تاسعًا: بركات أخروية

أي بركات تحصل في الآخرة وأعظمها يكون بسبب توحيد الله سبحانه، وهو من أعظم أركان الشريعة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديًا به؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم ألا تشرك بي شيئًا، فأبيت إلا أن تشرك بي». [البخاري: ٣٣٣٤، ومسلم: ٢٨٠٥].

فالتوحيد أسهل من النفقة ومن كل الأعمال وهو أثقلها في ميزان العبد، ولو حققه العبد لحصل بركة وهو النجاة من النار، ومن بركات تطبيق الشريعة: الوقاية في الآخرة من هذا العتاب السابق، وكذلك الوقاية من الحسرة والندم على مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم وترك ما شرعه لنا، قال الله تعالى: « وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾» [الفرقان:٢٧- ٢٩].

وقال سبحانه: « يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾» [الأحزاب:٦٦].

وتطبيق الشرع هو اتخاذ السبيل مع الرسول إلى دار السلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد.

رئيس أنصار السنة المحمدية بالسودان في زيارة للمركز العام

زار جماعة أنصار السنة في الأيام الماضية الدكتور/ إسماعيل عثمان الأزهري، رئيس أنصار السنة المحمدية بالسودان، والتقى فضيلته بالدكتور عبد الله شاكر الرئيس العام، والدكتور عبد العظيم بدوي المشرف العام على مجلة التوحيد، وأعضاء مجلس إدارة المركز العام.

وقد تم بحث ومناقشة الأنشطة الدعوية، والتعاون الدعوي المستمر بين جماعة أنصار السنة المحمدية في كل من مصر والسودان.

كما حضر الدكتور إسماعيل عثمان الأزهري اجتماع مجلس إدارة المركز العام لأنصار السنة في مصر، وقد قام الشيخ بشرح تجربة أنصار في السودان: سلبياتها وإيجابيتها، وكذلك المشاركة في الحياة العامة والبرلمانية والتنفيذية من خلال إسناد بعض الوزارات إلى رجال أنصار السنة في السودان.

كما اتفق الدكتور إسماعيل مع الرئيس العام د. عبد الله شاكر على تتابع الزيارات بين أنصار السنة في السودان وإخوانهم في مصر؛ لتبادل الخبرات، والاستفادة من تجربة أنصار السنة في السودان، والاقتباس من الخبرات الكبيرة والطويلة في مجال الدعوة لأنصار السنة بمصر.

وقد تحدث الدكتور إسماعيل حول مسألة دخول البرلمان، والضوابط الشرعية التي يجب أن تتوفر فيمن يدخل إلى هذا المجال.

وعن ما يسمى بـ «ثورات الربيع العربي» أكد الشيخ أن أعداء الإسلام لا يألون جهدًا في محاولة النَّيْل من الإسلام وأهله، وضرب مثالاً على ذلك بجنوب السودان بعد الانفصال، واصفًا إياه بأنه انفصال الجنوب كان ثمرة للمؤامرات الغربية والصهيونية على السودان، ومحاولة تفتيت السودان، وتقسيمه إلى دويلات متنازعة.

وعن المشاركة السياسية في الحكومة الحالية في السودان قال الدكتور إسماعيل: إن أنصار السنة قد شاركت في الحكومة الاتحادية من خلال بعض الوزراء المنتمين إلى أنصار السنة في تلك الحكومة، كالشيخ محمد أبو زيد وغيره، شارحًا المصالح والمنافع التي عادت على الدعوة جراء تلك المشاركة.

وقد تحدث الشيخ عن الكثير من العقبات التي يجدونها في السودان، وأنه قد جرت محاولة من بعض العناصر الأخرى في السودان لأخذ مساجد الجماعة والسيطرة عليها.

وقد أكد المجتمعون على ضرورة استباق الأحداث بالدراسة، والتحليل، والتخطيط؛ من خلال بعض النخب من أصحاب الخبرات النابغين في تلك التخصصات مع جهودهم في العمل للدعوة، مؤكدًا على أننا نعتبر أنصار السنة في مصر هي المرجعية بالنسبة لأنصار السنة في السودان وغيرها.

كما قام الدكتور إسماعيل بزيارة مقر مجلة التوحيد، وقد أبدى إعجابه الشديد بالتقدم الكبير لمجلة التوحيد في الشكل والمضمون، وقد التقى الدكتور إسماعيل رئيس تحرير المجلة الذي قدم له عرضًا وافيًا عن تطور المجلة، والمراحل التي تمر بها، والله ولي التوفيق.

رئيس التحرير

تنويه

كنا قد وعدناكم بأن يعود فضيلة الشيخ أبو إسحاق الحويني إلى الكتابة على صفحات مجلة التوحيد مرة أخرى، ولكن تأجل ذلك نظرًا للظروف الصحية التي ألمت بالشيخ، وندعو الله العلي القدير أن يشفي الشيخ شفاءً عاجلاً غير آجل، وأن يعود إلينا سالمًا غانمًا، آمين.